www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

تاريخ القرآن

تأليف

إبراهيم الأبياري

الطبعة الثانية المنقحة

دار الكتاب المصري
دار الكتاب اللبناني

بسم الله الرحمن الرحيم

تاريخ القرآن (للأبيارى)

كاتب:

ابراهيم الابيارى

نشرت فى الطباعة:

دارالكتاب المصرى

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
تاریخ القرآن (للأبیاری) ----- ۸
اشارة ----- ۸
مقدمة الطبعة الثانیة ----- ۸
مقدمة الطبعة الأولی ----- ۸
الباب الأوّل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم ----- ۸
۱- رسول اللّه ----- ۹
۲- الجزیرة العربیة قبل الرسالة ----- ۱۱
۳- الإرهاص بمیلاد الرسول ----- ۱۲
۴- رسالة محمد صلّی اللّه علیه و سلم ----- ۱۳
۵- بدء الدعوة ----- ۱۴
۶- الأنصار ----- ۱۷
۷- غزوات الرسول صلی الله علیه و سلم ----- ۱۸
۸- عرض لحیاة الرسول صلی اللّه علیه و سلم ----- ۲۰
۹- کتاب اللّه ----- ۲۲
الباب الثانی القرآن الکریم ----- ۲۳
۱- أمیة الرسول ----- ۲۳
۲- نزول الوحی ----- ۲۵
۳- عدد الآیات ----- ۲۶
۴- ترتیب الآیات ----- ۲۷
۵- أسماء السور ----- ۲۸
۶- ترتیب السور ----- ۲۸
اشارة ----- ۲۸

و هاک جدولا یجمع الترتیب فی هذه المصاحف الأربعة: ---- ۲۹
الجزء الأول ---- ۲۹
الجزء الثانی ---- ۲۹
الجزء الثالث ---- ۳۰
الجزء الرابع ---- ۳۰
الجزء الخامس ---- ۳۰
الجزء السادس ---- ۳۱
الجزء السابع ---- ۳۱
۷- الجمّاع للقرآن ---- ۳۱
۸- الحکمة فی نزول القرآن منجّما ---- ۳۲
۹- الوحی و نزول القرآن علی سبعة أحرف ---- ۳۳
۱۰- اسم کتاب اللّه ---- ۳۳
۱۱- جمع القرآن ---- ۳۳
۱۲- مصحف عثمان ---- ۳۴
۱۳- کتب المصاحف ---- ۳۷
۱۴- القراءات ---- ۴۲
۱۵- القراء ---- ۴۳
۱۶- رأی ابن قتیبة فی القراءات ---- ۴۴
۱۷- تعقیب علی القراءات ---- ۴۵
۱۸- رسم المصحف ---- ۴۷
۱۹- کتابة المصحف و طبعه ---- ۴۸
۲۰- تجزیة المصحف ---- ۴۹
۲۱- الاستعاذة و البسملة ---- ۵۱
۲۲- الناسخ و المنسوخ ---- ۵۱

۲۳- الحروف المقطعة فی أوائل السور ---- ۵۳
۲۴- علوم القرآن ---- ۵۴
۲۵- إعجاز القرآن ---- ۵۴
۲۶- المحکم و المتشابه ---- ۵۶
۲۷- اللغات فی القرآن ---- ۵۸
۲۸- خاتمة ---- ۵۹
تعریف المرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ---- ۵۹

تاريخ القرآن (للأبيارى)

اشارة

نام كتاب: تاريخ القرآن(للأبيارى) نويسنده: ابراهيم الابيارى موضوع: تاريخ قرآن تاريخ وفات مؤلف: معاصر زبان: عربى تعداد جلد: ۱ ناشر: دار الكتاب المصرى / دار الكتاب اللبنانى مكان چاپ: القاهره / بيروت سال چاپ: ۱۴۱۱ / ۱۹۹۱ نوبت چاپ: سوم

مقدمة الطبعة الثانية

مقدمة الطبعة الثانية هذا كتاب عن تأريخ القرآن الكريم، تسبق هذا التاريخ كلمة عن حياة الرسول، صلّى اللّه عليه و سلّم. و قد صدرت منه الطبعة الأولى سنة ۱۳۸۴ ه (۱۹۶۴ م)، أى منذ نحو من ستة عشر عاما، و لقد كنت حريصا على أن أعيد طبعه بعد نفاد طبعته الأولى منذ أعوام، و لكن الأيام سوّفت. و ها أنا ذا أقدمه فى طبعته الثانية لكل من هم معنيون بالدراسات الإسلامية، بعد أن نظرت فيه نظرة صحّحت ما كان قد وقع فى طبعته الأولى من هنات، و بعد أن زدت فى هذه الطبعة الثانية كثيرا. و عساى، بما فعلت أولا و ثانيا، أن أكون قد أدّيت واجبا للتّراث العربى الإسلامى. و اللّه ولى التوفيق؟ إبراهيم الأبيارى القاهرة: جمادى الثانية سنة ۱۴۰۱ ه- أبريل سنة ۱۹۸۱ م تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۷

مقدمة الطبعة الأولى

مقدمة الطبعة الأولى رسالة و رسول تلقّتهما الجزيرة العربية منذ أربعة عشر قرنا، فبادهتهما بالتأبّى أولا، ثم لم يمض غير قليل حتى تفتّحت لهما القلوب ليّنة طيّعة، و إذا عداة الرسالة حماة الرسالة، و إذا خصوم الرسول يستأمرون بأمر الرسول، و إذا هم داعون لهما فى مشارق الأرض و مغاربها. و إذا مع البيئة العربية بيئات و بيئات تؤمن بتلك الرسالة و تؤمن بذلك الرسول، و إذا رسالة هذا الرسول يستظل بظلّها اليوم نحو من أربعمائة مليون ينتشرون فى أنحاء العالم شرقا و غربا و شمالا و جنوبا، يحفظ عليهم هذه الرسالة الكريمة قرآن كريم فيه بيان و تفصيل. و لم يكن شىء أحبّ إلى المسلم من أن يعرف رسوله، و يعرف هذا الكتاب الجامع لرسالته؛ من أجل هذا شغف المسلمون منذ أن عرفوا الإسلام بجمع كلّ ما يتّصل بالرسول، ثم مضوا يتدارسون هذا الذى جمعوه، يفيضون فيه و يستوعبون، كما جمعوا حول القرآن دراسات و علوما تجلّ عن أن تحصى، و تكثر عن أن تعدّ. و أصبح عزيزا أن تجد فى خضمّ هذا الفيض المستوعب كلمات عن الرسول مجموعات، تصلك بحياته صلّى اللّه عليه و سلّم فى إيجاز جامع، يعلو عن الاختصار المفوّت، و يهبط عن الاسترسال المشتّت. كما أصبح عزيزا أن تجد بين هذه الكثرة الكثيرة من علوم القرآن كتابا يلخص لك هذا كلّه فى يسر، و يلمّ به فى غير عسر. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۸ و قل أن تجد من ناشئتنا اليوم- بعد أن بعدت بهم ثقافتهم شيئا ما- من يملك أن يجيب نفسه بله سائله عن الكثير ممّا يتّصل بالرسول و رسالته. لهذا أردت أن أقدّم هذا الكتاب ألخّص فيه شيئين: ۱- حياة الرسول، صلّى اللّه عليه و سلّم، تلخيصا يقف عند الإجمال الجامع، و لا يعرض للتّفصيل المشتّت. ۲- و أن أجعل هذا تمهيدا لتلخيص ثان ميسّر مبيّن، يجمع كلّ ما يتّصل بالقرآن الكريم. و إنّ الحرص الذى جمع السلف على قراءة هذه المطوّلات لواجد حرصا مثله سوف يجمع الخلف على قراءة هذه المختصرات، فالناس بخير، ما علموا فإن هم جهلوا ضلّوا، و ما أرغب الناس عن أن يجهلوا فيضلّوا، و هم يملكون أن يعلموا فيسلموا. و أرجو أن أكون بالذى صنعت قد وفّيت و أرضيت. إبراهيم الأبيارى القاهرة: شعبان ۱۳۸۴ ه ديسمبر ۱۹۶۴ م تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۹

الباب الأوّل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم

۱- رسول اللّه

۱- رسول اللّه هو: محمد بن عبد اللّه بن عبد المطلب «شيبة» بن هاشم «عمرو» ابن عبد مناف «المغيرة» بن قصىّ «زيد» بن كلاب بن مرّة بن كعب ابن لؤىّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النّضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة «عامر» بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. إلى هنا ينتهى النّسب الصّحيح، و ما فوق ذلك فهو من صنع النسّابين. و قد حكى عن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أنه كان إذا انتسب لم يتجاوز فى نسبه عدنان ثم يمسك و يقول: كذب النسّابون. و أمه: آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرّة ابن كعب بن لؤىّ بن غالب بن فهر. يلتقى نسبها مع نسب أبيه، صلّى اللّه عليه و سلّم، عند جدّهما الأعلى: كلاب بن مرّة. و لقد مات أبوه عبد اللّه بالمدينة، و أمّه حامل به لشهرين، و كان قد خرج فى تجارة، فمرض، فعرّج بالمدينة يلم بأخواله من بنى النجّار. فأقام عندهم شهرا، مات بعده، عن خمسة و عشرين عاما. فلقد كان هاشم بن عبد مناف قدم المدينة، فتزوج سلمى بنت عمرو، أحد بنى عدى بن النجّار. فولدت لهاشم: شيبة، فتركه هاشم عندها حتى كان وصيفا، أى غلاما دون المراهقة، أو فوق ذلك. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۲ ثم خرج إليه عمّه المطلب ليقبضه فيلحقه ببلده و قومه، و كانت مشادّة بين الأم و العم، انتهت برضى الأم، و أذنت لابنها أن يرحل مع عمّه. فاحتمله المطلب، و دخل به مكة مردفه معه على بعيره، فقالت قريش: عبد المطلب ابتاعه، فبها سمّى شيبة: عبد المطلب. فقال المطلب: ويحكم! إنما هو ابن أخى هاشم، قدمت به من المدينة. و من هنا كانت هذه الخؤولة «۱». و كان مولده، صلّى اللّه عليه و سلم، يوم الاثنين التاسع من شهر ربيع الأول. عام الفيل «۲» «۲۰ أبريل ۵۷۱»، على الصحيح «۳»، بالدّار التى عند الصّفا «۴»، و التى كانت بعد لمحمد بن يوسف أخى الحجّاج، و قد بنتها زبيدة مسجدا حين حجّت. و كانت قابلته، التى نزل على يديها: الشّفاء، أم عبد الرحمن بن عوف. و أرضعته امرأة من بنى سعد بن بكر بن هوازن، يقال لها: حليمة بنت أبى ذؤيب. و اسم أبيه فى الرّضاعة: الحارث بن عبد العزّى، من بنى سعد بن بكر بن هوازن.

(_____ ۱) السيرة لابن هشام (۱: ۱۴۴- ۱۴۵)

طبعة الحلبى. (۲) رسالة محمود حمدى الفلكى (۱۰۳۳ ه) الترجمة العربية طبعة بلاق سنة ۱۸۸۹ م. (۳) وفد الفيل لسبع عشرة ليلة خلت من المحرم سنة ثمانمائة و اثنتين و ثمانين للاسكندر، و سنة عشر و مائتين من تاريخ العرب الذى أوله حجة الغدر، و سنة أربع و أربعين من ملك أنوشروان (البدء و التاريخ: ۴: ۱۳۲). (۴) الصفا: جبل بين بطحاء مكة و المسجد. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۳ و كان إخوته من الرّضاعة: عبد اللّه بن الحارث، و أنيسة بنت الحارث، و الشّيماء حذافة بنت الحارث. و كانت حليمة بنت أبى ذؤيب تحدّث: أنها خرجت من بلدها مع زوجها، و ابن لها صغير ترضعه، فى نسوة من بنى سعد بن بكر، تلتمس الرّضعاء. قالت حليمة: و كان ذلك فى سنة شهباء لم تبق لنا شيئا، و معنا شارف «۱» لنا، و اللّه ما تبضّ «۲» بقطرة، و ما ننام ليلنا أجمع من صبيّنا الذى معنا، من بكائه من الجوع، ما فى ثديى ما يغنيه، و ما فى شارفنا ما يغذيه. و تقول: حتى قدمنا مكة نلتمس الرّضعاء، فما منّا امرأة إلا و قد عرض عليها رسول اللّه، صلّى اللّه عليه و سلم، فتأباه، إذا قيل لها: إنه يتيم، و ذلك أننا إنما كنا نرجو المعروف من أبى الصبى، فكنا نقول: يتيم، و ما عسى أن تصنع أمه أو يصنع جده! و كنا نكرهه لذلك. فما بقيت امرأة قدمت معى إلا أخذت رضيعا غيرى. فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبى: و اللّه إنى لأكره أن أرجع من بين صواحبى و لم آخذ رضيعا، و اللّه لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه. قال: لا عليك أن تفعلى، عسى اللّه أن يجعل لنا فيه بركة.

(_____ ۱) شارف: ناقة مسنة. (۲) تبض: ترشح. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۴ قالت: فذهبت إليه فأخذته، و ما حملنى على ذلك إلا أنى لم اجد غيره. ثم قالت: فلما أخذته رجعت به إلى رحلى، فلما وضعته فى حجرى أقبل عليه ثدياى بما شاء من لبن، فشرب حتى روى، و شرب معه أخوه حتى روى، ثم ناما، و قام زوجى إلى شارفنا تلك فإذا إنها لحافل، فحلب منها ما شرب، و شربت معه حتى انتهينا ريّا و شبعا، فبتنا بخير ليلة.

قالت: يقول صاحبى، حين أصبحنا: فاعلمى و اللّه يا حليمة لقد أخذت نسمة مباركة. قالت: فقلت: و اللّه أنى لأرجو ذلك. قالت: ثم قدمنا منازلنا من بنى سعد، و ما أعلم أرضا من أرض اللّه أجدب منها، فكانت غنمى تروح علىّ لبنا حين قدمنا به معنا شباعا، فنحلب و نشرب. فلم نزل نتعرف من اللّه الزيادة و الخير حتى مضت سنتاه ففصلته، فقدمنا به على أمه، و نحن أحرص شىء على مكثه فينا، لما كنا نرى من بركته «۱». و حين بلغ محمد ستّ سنين توفيت أمه آمنة بنت وهب بالأبواء- موضع بين مكة و المدينة- و عمرها ثلاثون عاما (_____. ۱) السيرة لابن هشام (۱: ۱۷۱- ۱۷۳). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۵ فحملته أم أيمن، و هى خاضنته و مولاة أبيه، إلى مكة. فكان فى حجر عبد المطلب «۱». و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم مع جده عبد المطلب بن هاشم، و كان يوضع لعبد المطلب فراش فى ظل الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالا له. فكان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يأتى و هو غلام حتى يجلس عليه، فيأخذه أعمامه ليؤخّروه عنه، فيقول عبد المطلب، إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابنى، فو اللّه إن له لشأنا، ثم يجلسه معه على الفراش، و يمسح ظهره بيده، و يسره ما يراه يصنع «۲». و بعد وفاة آمنة بسنتين توفى جده عبد المطلب، و كان يكفله، و عمر محمد عندها ثمانى سنين. فكان محمد بعد وفاة جدّه عبد المطلب مع عمّه أبى طالب. و أبو طالب و عبد اللّه- أبو رسول اللّه- أخوان لأب و أم، و أمهما: فاطمة بنت عمرو ابن عائذ بن عمران بن مخزوم. و لقد كان لعبد المطلب من الأولاد عشرة نفر و ستّ نسوة: العباس، و حمزة، و عبد اللّه، و أبو طالب- و اسمه عبد مناف- (_____ ۱) البدء و التاريخ للبلخى (۴: ۱۳۳).

(۲) السيرة لابن هشام (۱: ۱۷۸). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۶ و الزّبير، و هو أكبر أعمام النبى، صلّى اللّه عليه و سلم، و هو الذى كان يرقصه و يقول: محمد بن عبدم عشت بعيش أنعم و الحارث، و حجل، و المقوّم، و ضرار، و أبو لهب، و اسمه عبد العزّى، و كنّى أبا لهب، لإشراق وجهه. ثم صفية، و أم حكيم البيضاء، و عاتكة، و أميمة، و أروى، و برّة. و كانت أم عبد اللّه و أبى طالب، كما قلت قبل، و الزّبير، و جميع النساء غير صفيّة: فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم «۱». ثم إن أبا طالب خرج فى ركب تاجرا إلى الشام، فلما تهيأ للرحيل، و أجمع المسير، تعلق به رسول اللّه، صلّى اللّه عليه و سلم، فلما تهيأ للرحيل، و أجمع المسير، تعلق به رسول اللّه، صلّى اللّه عليه و سلم، فرقّ له أبو طالب، و قال: و اللّه لأخرجن به معى و لا يفارقنى و لا أفارقه أبدا، فخرج به معه، فلما نزل الرّكب بصرى، من أرض الشام، و بها راهب يقال له: بحيرى، فى صومعة له، و كان إليه علم أهل النصرانية، فلما نزلوا به قريبا من صومعته، صنع لهم طعاما، و كان رأى رسول اللّه، صلّى اللّه عليه و سلم، و هو فى صومعته، و غمامة تظله بين القوم، فلما رأى ذلك بحيرى نزل من صومعته، ثم أرسل إليهم: إنى قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش، و أنا أحب أن تحضروا كلكم، صغيركم و كبيركم. و لما رأى بحيرى رسول اللّه، صلّى اللّه عليه و سلم، جعل يلحظه لحظا شديدا، و ينظر إلى أشياء من جسده، قد كان يجدها عنده من صفته (_____. ۱) السيرة لابن هشام (۱: ۱۱۳- ۱۱۵). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۷ فلما فرغ أقبل على عمّه أبى طالب، فقال له: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابنى. قال له بحيرى: ما هو بابنك، و ما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيّا: قال أبو طالب: إنه ابن أخى. قال بحيرى: فما فعل أبوه؟ قال أبو طالب: مات و أمه حبلى به. قال بحيرى: صدقت، فارجع بابن أخيك لى بلده، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم «۱». و حين بلغ محمد أربعة عشر عاما- أو خمسة عشر- كانت حرب الفجار، بين قريش و من معهم من كنانة، و بين قيس عيلان. و لقد شهد محمد بعض أيامها، أخرجه أعمامه معهم ينبل عليهم، أى يرد عليهم نبل عدوهم إذا رموهم به. و سميت هذه الحرب: حرب الفجار، و كانت وقعات، لما صنعوا فيها من الفجور فى الشهر الحرام، و ذلك أن النعمان بن المنذر، عامل أبرويز على الحيرة، كان يبعث كل سنة بلطيمة «۲» إلى سوق عكاظ، فى جوار رجل من العرب، فلما كان فى هذه السنة، قال: من يجير هذه العير؟ قال عروة الرّحال بن عقبة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن: أنا أيها الملك. فقال له البرّاض ابن قيس، أحد بنى

ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة: أ تجيرها على كنانة؟ قال: نعم، و على الخلق جميعا.

(_____ ۱) السيرة لابن هشام (۱ : ۱۹۱- ۱۹۵). (۲) اللطيمة: الجمال التى تحمل التجارة. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۸ فسلّم النعمان اللطيمة إلى عروة، و تبعه البرّاض يطلب غفلته، حتى إذا كان بتيمن ذى طلال «۱» أصاب فرصة من عروة، فوثب عليه و قتله فى الشهر الحرام. و تسامع الناس به، فخرجت كنانة و قريش يطلبون بثأر عروة، و خرجت قيس عيلان لأجل البراض، و اقتتلوا قتالا شديدا بعكاظ فى الشهر الحرام، ثم تحاجزوا و تداعوا إلى الصلح. ثم اجتمعت قريش بدار عبد اللّه بن جدعان، و تحالفوا على أن يكونوا يدا واحدة حتى يأخذوا للمظلوم حقه، فسمّته قريش: حلف الفضول. و لقد شهده رسول اللّه، صلّى اللّه عليه و سلم، و فيه يقول: لقد شهدت فى دار عبد اللّه بن جدعان ما أحبّ أنّ لى به حمر النعم «۲»، و لو أدعى به فى الإسلام لأجبت «۳». و لما بلغ محمد خمسة و عشرين عاما تزوّج خديجة بنت خويلد ابن أسد بن عبد العزّى بن قصىّ، بن كلاب بن مرّة، يلتقى نسبها مع نسبه فى جدّهما الأعلى قصىّ، كما يلتقى نسبها مع نسب أمه آمنة فى كلاب بن مرّة. و كانت خديجة أول امرأة تزوجها محمد، و لم يتزوج غيرها حتى ماتت.

(_____ ۱) تيمن ذو طلال: واد إلى جانب فدك (معجم البلدان). (۲) أى لا أحب نقضه و إن وضع حمر النعم فى مقابل ذلك. (۳) البدء و التاريخ (۴: ۱۵- ۱۳۷). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۹ و قد عرفت خديجة محمدا حين خرج فى تجارة لها إلى الشام فى رحلته الثانية، مع غلامها ميسرة. و كانت رحلته الأولى إلى الشام حين خرج مع عمّه أبى طالب، و سنّه اثنا عشر عاما، حدّثها ميسرة عن صدقه و أمانته فرغبت فيه وسعت إلى الزواج منه. و ولدت خديجة لمحمد أولاده كلّهم، إلا إبراهيم، فإنه من مارية القبطيّة، فولدت له القاسم، و به كان يكنى، و الطّيب «الطاهر»، و رقية، و زينب، و أم كلثوم، و فاطمة. و مات القاسم و الطّيب فى الجاهلية. و أدركت بناته كلهن الإسلام و أسلمن. و حين بلغ محمد خمسة و ثلاثين أخذت قريش فى تجديد بناء الكعبة، و كانت قد أصابها حريق، و من بعد الحريق سيل. و حين بلغت قريش موضع الحجر الأسود اختلفوا فيمن يكون له الشّرف فى وضعه موضعه، و كاد الخلاف يثير بينهم حربا، ثم انتهوا إلى أن يكون الفصل بينهم إلى أوّل داخل عليهم من باب بنى شيبة. و كان محمد أول داخل عليهم من هذا الباب. فارتضوه حكما فيما شجر بينهم، فبسط محمد رداءه و وضع الحجر عليه، و أمر كلّ قبيلة أن تأخذ بطرف من أطراف الرّداء، حتى إذا ما استووا رفع الحجر بيديه و وضعه مكانه. و لقد عرفت قريش محمدا صبيّا فلم تعهد عليه ما تعهد مثله على الصّبيان من إسفاف أو تدنّ، و عرفته يافعا فلم تعدّ له نزوة أو زلّة، ثم عرفته زوجا فى سنّ مبكرة، فعرفته أطهر الأزواج ذيلا. و هو منذ أن درج بين أهله و وعى كان الصادق الأمين، لا يقول إلا تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۲۰ صدقا، و لا يعطى أو يأخذ، إلا أمينا حين يعطى، أمينا حين يأخذ. أمينا حين يستشار و يشير، و النفس إن ملكت الصّدق و الأمانة ملكت ما بعدهما من كل ما هو محمود من الصّفات، و هكذا كان محمد قبل أن يبعثه اللّه رسولا. و لقد حبّب إلى محمد التّحنّث و التّحنّف، شأن الصادقين عن متاع الحياة، العازفين عن لينها المفضى إلى الاستنامة إليها، فكان يعتكف فى حراء- جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال منها- شهرا من كل سنة، يجعله خالصا لعبادة ربه، على ما رسم إبراهيم، و من بعده إسماعيل، عليهما السلام. و بقى محمد على هذا الذى أخذ به نفسه، يختلف إلى غار حراء، شهرا من كل عام، إلى أن كانت السنة التى اختاره اللّه فيها رسولا لرسالته، و كان عندها فى الأربعين من عمره. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۲۱

۲- الجزيرة العربية قبل الرسالة

۲- الجزيرة العربية قبل الرسالة و لننظر فيما كانت عليه الجزيرة العربية قبل رسالة محمد: فإلى الغرب و الشّمال من الجزيرة العربية كانت المملكة البيزنطيّة «الروم»، و فى يديها مصر و الشام، و إلى الشرق و الجنوب من الجزيرة العربية كانت مملكة الفرس، و فى يديها العراق و اليمن، و كلتا المملكتين كانت طامعة فى السّيطرة على الجزيرة العربية، و كانت بينهما بسبب ذلك حروب طاحنة،

امتدت حقبة طويلة. و لقد أظلّ الإسلام الجزيرة و الحرب قائمة، لم تخمد نارها إلا مع العام الثامن و الثلاثين بعد السّتمائة. و حين أخفق الرّوم فى بسط نفوذهم على الجزيرة حربا أخذوا ينفذون إليها سلما، فمدّوا أيديهم إلى الغساسنة فى شمالى الجزيرة، يجعلون منهم أعوانهم على هذا الغزو السّلمى؛ و كما فعل الرّومان فعل الفرس، فإذا هم الآخرون يمدون أيديهم إلى المناذرة، ملوك الحيرة فى الشرق، يجعلون منهم أعوانهم على الوقوف أمام الغزو الرّومانى. و إذ كان الرّوم نصارى لقن الغساسنة طرفا من النّصرانيّة، و إذ كان الفرس مجوسا أخذ المناذرة بطرف من المجوسية، و إذا النّصرانية تعرف طريقها إلى الجزيرة العربية عن طريق الشام، كما التمست المجوسيّة طريقها إلى الجزيرة العربية عن طريق الحيرة. و إذا الحرب التى كان يلتقى فيها السيف بالسيف تصبح و قد التقى فيها الرّأى بالرّأى، يقف المجوس، و من ورائهم اليهود، للنّصارى، و يقف النّصارى للمجوس و اليهود، و الجزيرة تشهد هذا الصراع فى الرّأى فتشارك فيه، موزّعة بين تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۲۲ المجوسية و اليهودية و النّصرانية، و يزيد البيئة العربية توزّعا توزع اليهود إلى ربّانيين و قرّائين و سامريّين، و توزّع النّصارى إلى يعاقبة و نساطرة و أريوسيين، هذا إلى توزّع الجزيرة العربية توزعا آخر بين عبادة الكواكب و عبادة الأصنام، و إذا العرب أوزاع فى الرّأى، أشتات فى الفكر. يمسك كلّ بما يحلو له و يطيب، و إذا هم قد نبذوا الكثير ممّا توارثوه من شريعة إبراهيم و إسماعيل، لا يستمسكون منها إلا ببقيّة قليلة كانت تتمثل فى تعظيم الكعبة و الحج إلى مكة، و إذا هم بعد هذا أمة أضلّتها الضّلالات، و استهوتها الموبقات، و استحوذت على عقولها الخرافات. تذلّ للأصنام، و تستنيم للكهّان، و تستملى الأزلام، و إذا أخلاقها تراق، تهون على موائد الخمر و الميسر، و إذا عدلها يفوّته عليها بغى الأقوياء، و إذا أمنها ليس لها منه إلا هباء. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۲۳

۳- الإرهاص بميلاد الرسول

۳- الإرهاص بميلاد الرسول و شخصت أبصار القلّة الواعية من رجالات الجزيرة الرّاشدين إلى السماء، تنشد العون و تستمطر الرّحمة، و جمعت البلبلة الفكرية بين أربعة من هذه القلّة الواعية- هم: ورقة بن نوفل، و عبيد اللّه بن جحش، و عثمان بن الحويرث، و زيد بن عمرو بن نفيل- ينظرون لأنفسهم و لأمتهم، فما انتهوا إلى رأى، و لا أجمعوا على ما يختارون، و إذا هم أشتات حين انفضّوا، كما كانوا أشتاتا حين اجتمعوا، لم يقرّوا على شىء، لأن الأمر كان أجلّ من أن يحمل عبأه غير رسول مؤيّد من السماء. و كانت الإرهاصات تشير إلى ميلاد هذا الرسول، و إلى أن هذا الرّسول هو محمد. فلقد سعدت مرضعته حليمة به، و انتقلت من شقاوة إلى نعيم، و من شدّة إلى لين، و لقد شبّ لا يأخذ فيما يأخذ فيه لداته من لعب، و ما عهدت عليه كذبة و لا زلة، و ما عكف على صنم، و لا شرب خمرا، و لا وضع يده فى ميسر، و لا استنام لتزهة، و لا شارك فى قبيحة؛ بل عاش عفّا صادقا أمينا حليما رحيما، تجر لخديجة قبل أن يصبح لها زوجا فبهرتها أمانته، و رأى للقرشيّين حين اختلفوا فى وضع الحجر، و كادت تثور بينهم الحرب، فكان نعم الرّائى، و نفر ممّا كانت تفعله العرب من وأد لبناتهم، و كان حربا عليه، و اشمأز ممّا كانت تستمتع به العرب من موبقات، و كان حربا على نفسه قبل أن يكون حربا عليهم، و حين برز بهذه الصفات فى بيئته، و بين قومه، برز الناظرون فى الكتب المقدّسة تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۲۴ يعرضون ما يجدونه مكتوبا على ما يجدونه مرئيا و مسموعا، فإذا هم يرون فى محمد، هذا الرسول المرتقب. فلقد جاء على لسان موسى فى وصيته ما يبشّر بعيسى، ثم بمحمد من بعده، حين قال: «جاء الربّ من سيناء، و أشرق من ساعير، و استعلن من فاران». و المراد بساعير: جبال فلسطين حيث ظهر عيسى، و بفاران مكة «۱». و فى الإصحاح الثامن عشر من سفر التثنية (الآية: ۱۵): إن اللّه تعالى قال لموسى عليه السلام: «قل لبنى إسرائيل إنى أقيم لهم آخر الزمان نبيّا مثلك من بنى إخوتهم». و لقد جاء بعد موسى عيسى، و هو من بنى إسرائيل، و كان مقتضى قول الرب لموسى أن يكون ثمّة نبىّ مرتقب بعد عيسى. و لقد كان محمد من ولد إسماعيل، و إسماعيل أخو إسحاق، و إسحاق جد بنى إسرائيل، فإخوتهم هم بنو إسماعيل. تزكّى هذه الآية (۱۸) من الإصحاح (۲۵) تكوين: «و سكنوا- أى أبناء إسماعيل- من حويلة إلى شور التى أمام مصر حينما تجىء نحو آشور أمام جميع إخوته نزل». كما تزكيه الآية (۱۲)

من الإصحاح (۱۶) تكوين: «و أمام إخوته يسكن».

(۱) انظر معجم البلدان لياقوت. صفة جزيرة العرب للهمدانى. الإعلام بأعلام بيت اللّه الحرام للنهروانى. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۲۵ ثم جاء على لسان يوحنا حكاية عن المسيح (ص ۱۴ ف ۱۵) و (ص ۱۶ ف ۵) ما يشير إلى إتيان (الفارقليط etelcarap). و معنى الفارقليط: الكثير الحمد. و هذا المعنى هو ما تعطيه كلمة «أحمد» التى هى من أسماء النبى. و جاء فى كتاب الرؤيا المنسوب إلى يوحنا الإنجيلى (ص ۱۱ ف ۱۱): «ثم رأيت السماء مفتوحة و إذا فرس أبيض و الجالس عليه يدعى أمينا صادقا و بالعدل يحكم». و لقد دعى محمد: الأمين الصادق. و جاء فى رؤيا يوحنا اللاهوتى (ص ۱۹ ف ۱۵): «و من فمه يخرج سيف ماض لكى يضرب به الأمم ... و هو يدوس معصرة خمر». و القرآن الكريم فى مضاء السيف، أذعنت له الأمم، و محمد حرّم الخمر، و ما حرمها عيسى، فلقد روى أنه صير الماء خمرا فى عرس قانا، كما حكى عنه أنه قال عن الخمر: إنها دمه «۱».

(۱) انظر كتاب: البشارات التى جاءت عن رسول اللّه فى العهدين، لمؤلفه رحمة اللّه الهندى. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۲۶

۴- رسالة محمد صلّى اللّه عليه و سلم

۴- رسالة محمد صلّى اللّه عليه و سلم و هكذا كان محمد، حين دبّت قدماه على أرض مكة من الجزيرة العربية، محطّ الأبصار، و شغل الأفكار، حاطه ربّه باليمن وليدا، إيذانا منه لعباده بما سيؤهّله له، و صانه عن اللهو العابث صبيّا ليرتفع به عما يتدنّى فيه غيره، كى يمهّد لإجلاله، و أجرى الصّدق على لسانه، و بسط بالأمانة يديه، و ملأ بالرحمة قلبه، و بالحكمة رأسه، ليرى الناس فيه ما يفقدون من صفات، فيلتفّوا حوله اليوم تمهيدا لالتفافهم حوله فى غد. و حين استوى محمد شابّا، و استوت باستوائه صفات الكمال كلها فيه، رأى الناس أنهم بين يدى عجب استعصى على عامتهم تأويله، و لم يستعص على خاصتهم من أولى الكتاب، فعرفوا أنه النبىّ المرتقب. و مضى محمد فى طريقه المرسوم، يهيئه اللّه لتلقّى ما سوف يوحى به إليه. فغدا لا يرى فى منامه رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصّبح، و غدت الخلوة محبّبة إلى نفسه، يقضى فى غار حراء الليالى ذوات العدد خاليا لعبادته، و لا يعود إلى أهله إلا لكى يتزوّد لمثلها. و فيما كان محمد فى غار حراء، خاليا يتحنّث، تمثّل له جبريل يحمل إليه الوحى من ربه و يؤذنه بدعوة قومه إلى اللّه الواحد الأحد، و ترك عبادة الأوثان. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۲۷ و كان ابتداء الوحى فى شهر رمضان و فى السابع عشر منه «۱». يشير إلى الأولى قوله تعالى فى سورة البقرة: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ «۲»، و يشير إلى الثانية قوله تعالى فى سورة الأنفال: إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَ ما أَنْزَلْنا عَلى عَبْدِنا يَوْمَ الْفُرْقانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ «۳». و كان التقاء الجمعين- أعنى المسلمين و المشركين يوم بدر- فى السّابع عشر من رمضان من السنة الثانية للهجرة. و كان أوّل ما نزل عليه من الوحى: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ «۴». و لقد تلقّاه الرسول مجهودا، و انصرف به مشدوها، و وقف فى مكانه بعد خروجه من حراء ناظرا فى آفاق السماء، لا يتقدم أمامه، و لا يرجع إلى الوراء. إلى أن ارتدت إليه نفسه، و انتهى إلى خديجة و هو يحس هزّة المقرور، فقص عليها القصة. فقالت: أبشر، فإنك تطعم الطعام، و تصل الرّحم، و تصدق الحديث، و تؤدّى الأمانة، لا يصنع اللّه بك إلا خيرا. ثم جمعت عليها ثيابها و انطلقت إلى ابن عمها ورقة بن نوفل بن أسد ابن عبد العزّى بن قصىّ- و كان نصرانيا قد قرأ الكتب، و قد مرّ بك أنه كان بين أربعة من القلة الواعية ذات الرأى و الفكر- فقصّت عليه

(۱) يقول البلخى فى كتابه البدء و التاريخ (۴: ۱۳): «و هو الخامس و العشرون من أبان ماه، التاسع من شباط، و ذلك فى سنة عشرين من ملك أبرويز». (۲) البقرة: ۱۸۵. (۳) الأنفال: ۴۱. (۴) العلق: ۱. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۲۸ خديجة الخبر، فقال: لئن كنت صدقتنى فقد جاء الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى بن عمران، و لئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن اللّه نصرا يعلمه. و لكن ورقة بن نوفل هلك قبل إظهار النبى،

صلّى اللّه عليه و سلم، الدعوة «۱». ثم تتامّ الوحى إلى رسول اللّه، صلّى اللّه عليه و سلم، و مضى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، على أمر اللّه، على ما يلقى من قومه من الخلاف و الأذى. و آمنت به خديجة بنت خويلد و صدّقت بما جاءه من عند اللّه، و آزرته على أمره، و كانت أول من آمن باللّه و رسوله و صدّق بما جاء منه. و فتر الوحى فترة «۲» كانت لتلك النفس البشرية المختارة بمثابة الفترة التى سبقت الوحى، و حبّب فيها إلى الرسول أن يتحنّث، فلقد هيّأ هذا التّحنّث نفس محمد لهذا التّلقّى، و قارب بها منه، و إذا هى على الرّغم من هذا التّقريب و ذاك الإعداد تهتزّ لجلال ما ترى و تسمع، و إذا هى بهذا قد انتهت من مرحلة لتبدأ فى مرحلة، و إذا المرحلة الجديدة فى حاجة إلى زاد، كما كانت المرحلة الأولى فى حاجة إلى زاد، و إذا هذا الزّاد الجديد فترة يخلو فيها محمد إلى نفسه بما شاهد، يتمثّله مرة و مرة لتراح إليه روحه، و ليأنس به روعه، حتى إذا ما تلقّاه بعدها تلقّاه متهيّئا له. و هكذا كانت تلك الفترة خلوة ثانية، بعد تلك الخلوة الأولى فى (_____ ۱)

البدء و التاريخ (۴: ۱۴۳). (۲) كانت فترة الوحى أعواما ثلاثة. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۲۹ غار حراء، هيأت الأولى نفسه لتلقّى الوحى، و هيأت الثانية نفسه للأنس بالوحى. و حرّكت فترة الوحى ألسنة أهل مكة بالقول، فاسترسلوا يقولون: ودّعه ربّه و قلاه، يردّدها لسان الضّلال شماتة بلسان الحق، و يحاول العقل الغافل أن يخدع بها العقل الواعى، ليصرفه عن الدّعوة الجديدة. و انضمت هذه التى خلا بها الخصوم من شماتة، إلى تلك التى خلا بها الرسول من لهفة، فإذا هو بعد هذه و تلك أحزن ما يكون على انقطاع الوحى، أشوق ما يكون إلى اتّصاله. و مع هذا التهيّؤ الكامل لهذه النّفس البشرية المختارة، اتّصل الوحى، و نزل على محمد قوله تعالى: وَ الضُّحى وَ اللَّيْلِ إِذا سَجى ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَ ما قَلى وَ لَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولى وَ لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى أَ لَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوى وَ وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدى وَ وَجَدَكَ عائِلًا فَأَغْنى فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ. وَ أَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ. وَ أَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ «۱»، يرد على المتقوّلين. و يقال إن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم حين سمع صوت الملك بعد تلك الفترة التى استطالها حشى رعبا، فرجع إلى أهله، فقال: زمّلونى. فألقوا عليه قطيفة، فنزل عليه قوله تعالى: يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنْذِرْ «۲» يأمره أن يكون رسول ربه إلى الناس، يدعوهم إليه و إلى الحق، و يصرفهم عن الأوثان و عن الباطل.

(_____ ۱) سورة الضحى: ۱ - ۱۱. (۲)

المدثر: ۱- ۲. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۳۰

۵- بدء الدعوة

۵- بدء الدعوة و أخذ محمد يدعو إلى ربه، و إلى هذا الدين الجديد الذى اصطفاه ربّه له، فى بيئة قد عرفت لها إيغالها فى الباطل، و استكانتها إليه، و بين قوم أشربوا الضّلال فعاندوا عليه، فاقتضت الحكمة الحكيمة أن تأخذ الدعوة طريقها سرّا لا علانية، و خفية لا جهرا، تضمّ إليها الآنس بها، و تجمع عليها من تفتّح قلبه لها. و كان أقرب الناس إلى الرّسول من الرّجال أبو بكر، و كان له صديقا و إلفا، و من الصّبيان علىّ بن أبى طالب، فى ظله نشأ، و بين يديه شبّ، و من النّساء زوجته خديجة، و كانت كالئته فى خلواته، و ملاذه فى فزعاته، و من الموالى زيد بن حارثة، و كان حبّ رسول اللّه، و هبته خديجة له قبل النبوة، و كان عمره إذ ذاك ثمان سنين، فأعتقه الرسول و تبنّاه، و من العبيد بلال بن رباح الحبشىّ، و كان قريبا من أبى بكر غير بعيد عما يرى. فكان هؤلاء جميعا أول من آمنوا بمحمد، و أول من صدّقوه. ثم أسلم بدعوة أبى بكر: عثمان بن عفان، و الزبير بن العوام، و عبد الرحمن بن عوف، و سعد بن أبى وقاص، و طلحة بن عبيد اللّه، جاء بهم أبو بكر إلى رسول اللّه، صلّى اللّه عليه و سلم، حين استجابوا له، فأسلموا و صلوا، و كانت الصلاة قد فرضت ركعتين. ثم أسلم بعد هؤلاء نفر غيرهم، و دخل الناس فى الإسلام أرسالا من الرجال و النساء. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۳۱ و بقى الرسول بمن آمن معه يدعو الناس خفية، و ما سلم الرسول، و ما سلم من معه- على الرّغم من عدم مجاهرتهم بالدّعوة- من أذى كبير، حملوه راضين، حتى إذا ما أفصحت الدعوة عن نفسها شيئا، و غدت حديث البيئة، لم يكن بد من

أن يقف محمد، و من حوله القليلون المستضعفون، للناس جهرا، يدعون، بعد أن قضوا نحوا من أعوام ثلاثة يسرّون. و كان هذا عن أمر اللّه عزّ و جلّ لرسوله بإظهار الدعوة، و هذا حيث يقول تعالى: فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ «۱»، و حيث يقول تعالى: وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ. وَ اخْفِضْ جَناحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَ قُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ «۲». و كان الصّدام بين الحق و الباطل، و ما جبلت النفوس الغافلة أن تخرج من غفلتها فى يسر، لا سيما إذا كانت تلك الغفلة تظلّها عقيدة، و يحميها تقليد، و كانت تلك العقيدة و ذلك التقليد إرث قرون. و مشت قريش إلى الرسول تساومه على أن يطلب ما يشاء من ملك أو سيادة أو مال، على أن يترك ما يدعو إليه، فعادوا بغير ما كانوا يأملون، و لقد كانت لهم فيها عظة لو كانوا يتدبّرون. من أجل هذا عنف هذا الصّدام و قسا، و ذاق دعاة الحق من عنفه و من قسوته الشيء الكثير، و كان ما ذاقوا ابتلاء لهذا الحق، و ابتلاء لهم،

(_____ ۱) الحجر: ۹۴. (۲) الحجر: ۸۷- ۸۹.

إذ لو كان هو زيفا ما ضمّهم إليه على عسره، و لو كانوا هم على غير اليقين به ما انضمّوا إليه حاملين ما يمرّ. و مضى محمد يشق الطريق بمن تبعه وسط هو جاء عاصفة، يدبر للدعوة بتدبير السماء، و كان حين يصبر على الأذى يصيبه يأسى للأذى يصيب أصحابه. فلقد كان رسولا، و كان فى عافية بمكانه من رسالته، لا يخشى أن يزلزل إيمانه بها ترغيب أو ترهيب، و كان أتباعه على حسن إيمانهم، و عظيم صبرهم، بشرا يجوز عليهم ما يجوز على البشر، مع الوعد و الإيعاد، و لقد و فى أكثرهم لمعتقده، فلم يصرفه إيذاء كما لم يحوّله إعطاء، و هلك نفر منهم تحت سوط البلاء، كما لان نفر منهم فأعطوا بألسنتهم، و ما نظنهم أعطوا بقلوبهم. فلقد تتبع مشركو مكة من يسلمون بالوان الأذى كلها لا يقصدون، فآذوهم فى أموالهم، و آذوهم فى أهليهم، و آذوهم فى أجسادهم. و عزّ على رسول اللّه ما يلقى أصحابه، و كانوا كلهم قد تخلّت قبائلهم عن حمايتهم، فمن كان منهم ذا بأس هابوه، و من كان منهم مستضعفا حملوا عليه. و هنا يرى الرسول رأيا، و يراه معه الذين استضعفوا أمرا. لقد رأى الرسول لهؤلاء أن يهاجروا إلى الحبشة، بعد أن سمع عن النجاشى عدله و إنصافه، فخرج إلى الحبشة نفر من المسلمين، على ما فى هذه الرّحلة من ألم الفراق، و وعثاء الطريق، و عذاب الغربة. و لكن قريش لم ترض لمسلم أن يقرّ آمنا، و إن كان على أرض غير أرضه، فحين بلغهم أن المسلمين أصابوا بالحبشة دارا و قرارا، تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۳۳ بعثوا فى إثرهم رجلين من رجالهم، و حمّلوهما هدايا للنجاشى و بطارقته، و كاد الرجلان أن يكيدا للمسلمين عند النجاشى، و لكن النجاشى حين استمع لهما و استمع للمسلمين، ردّ الرجلين خائبين، و ترك المسلمين آمنين. و يسلم حمزة بن عبد المطلب، و يسلم عمر بن الخطّاب، و كانا رجلى بأس، ففرح لإسلامهما المسلمون، و أسى لإسلامهما المشركون، لما رأوه من انتشار الإسلام على الرّغم ممّا يفعلون، و خال المشركون أنهم لم يبلغوا فى الأذى ما يريدون، فائتمروا بينهم أن يمنعوا فى الإيذاء إلى حدّ لا يقوى المسلمون له، فكتبوا فيما بينهم كتابا تعاقدوا فيه على بنى هاشم و بنى المطلب، على أن يقطعوا ما بينهم و بينهم، فلا تكون ثمة صلات من زواج أو بيع أو شراء، غير أن ذلك لم يجد شيئا. و يفقد الرسول نصيرين عزيزين إلى نفسه، كريمين عليه، الواحد بعد الآخر، قبل أن يهاجر إلى المدينة، بنحو من ثلاث سنين، فلقد فقد عمّه أبا طالب، و كان نعم العون له، كفله بعد وفاة جدّه عبد المطلب، و وقف إلى جانبه منذ بعث، يناصره و يرد عند كيد المشركين، و كان المشركون يهابون أبا طالب فلم يقدموا على كثير ممّا كانوا يريدون. و لا ننسى ما كان من أبى طالب لوفد قريش حين جاء يطلب من أبى طالب أن يسلم إليهم محمدا و يأخذ مكانه عمارة بن الوليد، و كان أنهد فتى فى قريش و أجمله، و إذا أبو طالب يقف لهم ناهرا و يقول:

تعطونى ابنكم أغذوه لكم، و أعطيكم ابنى تقتلونه، هذا ما لا يكون أبدا «۱». ثم لا ننسى لأبى طالب وقفته مع محمد حين طلب إليه وفد قريش أن يكفه عن الدعوة و عن سبّ آلهتهم، و ما ظنه محمد بعمه من خذلان له و قعود عن نصرته، حين قال له: أبق علىّ و على نفسك، فإذا محمد يقول لعمه: و اللّه لو وضعوا الشمس فى يمينى، و القمر فى يسارى، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره اللّه أو أهلك فيه ما تركته، ثم يستعبر و يقوم موليا، فإذا عمه أبو طالب يناديه و يقول: أقبل يا ابن أخى، فلما أقبل رسول اللّه، صلّى اللّه عليه و سلم، قال أبو طالب: اذهب يا ابن أخى، فقل ما أحببت، فو اللّه لا أسلمك لشيء أبدا «۲». و بعد

أيّام ثلاثة فقد زوجته خديجة، بعد زواج دام أربعا و عشرين سنة و ستة أشهر. و لقد علمت موقف خديجة من الرسول، قبل أن يبعث و بعد أن بعث، كانت أول مسلمة، و أول مناصرة، رعت الرسول، و قامت فى عونه أيام لا عون. و كما حزن المشركون لإسلام حمزة و عمر، فرحوا لموت أبى طالب و خديجة، و اشتطّوا يمعنون فى الأذى، غير أنّ الرسول ما أبه لأذى المشركين، و ما قعد عن لقاء الناس فى الأسواق يدعو لعقيدته (_____. ۱)

البدء و التاريخ (۴: ۱۴۸)، و السيرة (۱: ۲۸۵). (۲) المرجعان السابقان. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۳۵ و كان الإسراء الذى تم ليلا، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم المعراج إلى السماء. و فى تلك الليلة فرضت الصلاة كاملة على المسلمين. و كان ذلك قبل الهجرة بسنة. و لسنا نحب أن نخوض فيما خاض فيه المجتهدون من قبل حول الإسراء و المعراج، أ كان بالجسد أم أ كان بالرّوح، و اختلافهم دليل على أنه ليس ثمة قول قاطع، و عندى أن الخير فى مثل هذه تقبّل الصورة على إجمالها، فنحن ملزمون بالتّصديق بالإسراء و المعراج، و أنهما وقعا حقّا، و لكنّا غير ملزمين أن نؤمن بالصورة التى وقعا بها، ما دمنا لا نجد أثرا يملى إملاء صريحا، و ثمة حقائق دينيّة منها هذه، يجب أن نقف عند مدلولها و لا نناقش صورها، و أى شىء يعنى المؤمن عن الرسول فى هذه إلا أن يصدّق بأنه أسرى به، و أنه مع هذا الإسراء و المعراج فرضت الصلاة كاملة، و أين نفوسنا و ما تملك من نفوس الرّسل و ما تملك، و أين بصائرنا و ما تحوز من بصائر الرسل و ما تحوز، ثم أين مكان المغمور فى حمأة المادة من مكان السابح فى شفافية المعنويّات. لقد أسرى بالرسول و عرّج به، ما فى ذلك شكّ، و لقد فرضت الصلاة فى تلك الليلة، ما فى ذلك شك، بهذا حدّثنا الرسول و نطق القرآن. و لو شاءا تفصيلا لزادا، و لكنهما أعطيانا مانعى، و ما يعنينا، و حجبا عنّا ما بعد ذلك. و لعلّ نظرة المشركين للإسراء و المعراج يناقشون صورتهما التى وقعت بها هى التى حفزت المسلمين بعد على أن يكدّوا أنفسهم فى هذا الخلاف. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۳۶ و ليست صورة الوحى تبعد كثيرا عن صورة الإسراء و المعراج، و من آمن بالأولى يؤمن بالثانية، فكما اتصل محمد بربّه فى تلك اتصل محمد بربه فى هذه، و كما تلقى محمد عن ربه فى الأولى تلقى محمد عن ربه فى الثانية. يروى ابن هشام فى سيرته أن رسول اللّه، صلّى اللّه عليه و سلم، حين أصبح «۱» غدا على قريش فأخبرهم الخبر، فقال أكثر الناس: هذا و اللّه الأمر البيّن «۲»، و اللّه إن العير لتطرد شهرا من مكة إلى الشام مدبرة و شهرا مقبلة، أ فيذهب ذلك محمد فى ليلة واحدة، و يرجع إلى مكة. ثم يقول ابن هشام: فارتد كثير ممّن كان أسلم، و ذهب الناس إلى أبى بكر، فقالوا له: هل لك يا أبا بكر فى صاحبك، يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس و صلى فيه و رجع إلى مكة. فقال لهم أبو بكر: إنكم تكذبون عليه. فقالوا: بلى، فهو ذا فى المسجد يحدّث به الناس. فقال أبو بكر: و اللّه لئن كان قاله لقد صدق، فما يعجبكم من ذلك! فو اللّه إنه ليخبرنى أن الخبر ليأتيه من اللّه من السماء إلى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدقه، فهذا أعجب ممّا تعجبون منه. ثم أقبل أبو بكر حتى انتهى إلى رسول اللّه، صلّى اللّه عليه و سلم، (_____۱) فلقد كان الإسراء ليلا. (۲) الإمر، بكسر الهمزة: العجب المنكر. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۳۷ فقال: يا نبى اللّه، أحدثت هؤلاء القوم أنك جئت بيت المقدس هذه الليلة؟ قال: نعم. قال: يا نبى اللّه، فصفه لى، فإنى قد جئته. فجعل رسول اللّه، صلّى اللّه عليه و سلم، يصفه لأبى بكر، و يقول أبو بكر: صدقت، أشهد أنك رسول اللّه، كلما وصف له منه شيئا، قال: صدقت، أشهد أنك رسول اللّه. حتى إذا انتهى، قال رسول اللّه، صلّى اللّه عليه و سلم، لأبى بكر: و أنت يا أبا بكر: الصديق. فيومئذ سمّاه: الصديق «۱». و يروى عن معاوية بن أبى سفيان أنه كان إذا سئل عن مسرى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، قال: كانت رؤيا من اللّه تعالى صادقة «۲». و يروى عن الحسن قوله: كانت رؤيا، و يحتج بقوله تعالى: وَ ما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْناكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ «۳». أما عن المعراج فرقيّه صلّى اللّه عليه و سلم إلى السماء، فإن ابن إسحاق يروى عمن لا يتهم، عن أبى سعيد الخدرى، رضى اللّه عنه، أنه قال: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يقول: لما فرغت ممّا كان فى بيت المقدس أتى بالمعراج. ثم ساق وقع «۴». (_____۱) السيرة (۲: ۹۳- ۴۰). (۲) السيرة

(۲: ۴۱). (۳) الإسراء: ۶۰. (۴) السيرة (۲: ۴۴). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۳۸ و هذا يعنى أن المعراج كان بعد الفراغ من الإسراء. و لكنا نرى البلخى فى كتابه البدء و التاريخ «۱» يقول، نقلا عن الواقدى: إن المعراج كان قبل ذلك- أى قبل الإسراء- بثمانية عشر شهرا. و بعد أن يروى البلخى ما كان فى المعراج نقلا عن الواقدى، يقول: و أما ابن إسحاق ... ثم يذكر ما سقناه قبل عن ابن إسحاق، من أن المعراج كان بعد الفراغ ممّا كان فى بيت المقدس.

(۱) البدء و التاريخ (۴: ۱۵۹). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۳۹

۶- الأنصار

۶- الأنصار و حين ازداد المشركون إيذاء ازداد الرسول تعرّضا للقبائل، يعرض عليها ما نزل عليه من السماء، و بينما هو عند العقبة، قريبا من مكة، لقى نفرا من الخزرج، فعرض عليهم الإسلام، فأجابوه و أسلموا، و رجعوا إلى قومهم فى المدينة بالإسلام، يدعونهم إليه. حتى إذا كان العام المقبل لقى الرسول من الأنصار رجالا آخرين، فبايعوه على الإيمان به. و فى اللّقية الثانية كان الاتفاق بين الأنصار و الرسول على خروج الرسول إلى المدينة، و استوثق الرّسول، و استوثق له عمّه العبّاس، و كان حاضرا هذا الاجتماع، و كانت الهجرة إلى المدينة. خرج إليها المسلمون، و أقام الرسول بمكة يدبّر لأمر خروجه. و كانت قريش قد دبّرت لقتل رسول اللّه، صلى اللّه عليه و سلم، و أخذوا من كل قبيلة فتى شابّا جلدا، نسيبا شريفا، و مع كل فتى سيفه، ليعرضوا للرسول، صلى اللّه عليه و سلم، فيضربوه ضربة رجل واحد، كى يتفرق دمه صلى اللّه عليه و سلم فى القبائل جميعا، فلا تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا. و اجتمع هؤلاء النفر على باب الرسول، صلى اللّه عليه و سلم، يرصدونه، فلما رأى رسول اللّه، صلى اللّه عليه و سلم، مكانهم، أمر عليّا بأن ينام على فراشه، و يتعطى ببرده. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۴۰ و خرج عليهم الرسول، صلى اللّه عليه و سلم، منصرفا إلى بيت أبى بكر، و قد أغشاهم اللّه فهم لا يبصرون. و كانوا كلما جعلوا يتطلعون، فيرون عليّا على فراش رسول اللّه، صلى اللّه عليه و سلم، متسجّيا ببرده، يخالون أن محمدا لا يزال نائما. و لم يزالوا كذلك حتى قام علىّ، رضى اللّه عنه، عن الفراش، فعلموا حقيقة ما كان. و على الرغم من حيطة قريش خرج الرسول و معه أبو بكر، و ركبا إلى المدينة، خرجت قريش فى إثرهما تطلبهما. ففوّت اللّه عليهم ما يطلبون. و كان خروج الرسول من مكة يوم الخميس فى اليوم الأول من ربيع الأول، و كان بلوغه المدينة لاثنتى عشرة ليلة خلت منه، و كان ذلك ظهر يوم اثنين، و كان ذلك بعد أن بعثه اللّه، عزّ و جل، بثلاث عشرة سنة، و كان عمره إذ ذاك ثلاثا و خمسين سنة. و لقد علم المسلمون أول ما علموا، أن هذا البلاء زاد المسلم إلى الجنة، و صفحته يوم الميعاد، و ما على الرسول إلا البيان، و أنّ عليهم التّمكين لهذا البيان، و نصر اللّه صنو جهاد العبد و كفاحه و صبره، على هذا رسالات السماء، و على هذا رسل السماء إلى العباد، يهبط الهدى حين تشيع الظلمة، و يتلقّف الهدى رسول مختار، يصطفيه اللّه صادقا جلدا صبورا، فإذا الناس معه على الطريق، لهم مثل صدقه و جلده و صبره، همّهم مثل همّه، نصراء للحق، ينصرونه بصدقهم و جلدهم تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۴۱ و صبرهم، لا يحرصون على الحياة، و لا يغريهم متاعها، و إذا هم حين يؤيّدون رسالة السماء، قد أيّدتهم رسالة السماء، و إذا الدنيا معهم على هذا الحق، و إذا هم سادة الدّنيا بهذا الحق. على هذا عرف المسلمون محمدا، و بهذا قدّم محمد نفسه للمسلمين، لم يطمعوا فى أن تكشف السماء عنهم ضرّا لم يشمّروا هم لكشفه، و لا فى أن تزيح عنهم السماء بلاء لم يتهيّئوا هم لإزاحته، كما لم يجعلوا كلمة التوحيد وحدها سلاحهم على أعدائهم، و عدّتهم التى بها يقوون، بل جعلوا هذه الكلمة هى اللّبنة الأولى فى صرح إيمانهم، و انضم بها بعضهم إلى بعض، يتناصحون، و الرسول من بينهم يملى عليهم و يشير. على هذا عاهد المسلمون اللّه، و على هذا عاهد المسلمون الرّسول، عاهدوا اللّه على أن يناصروا رسوله، و عاهدوا الرّسول على أن يناصروا رسالته، ثم عاهدوا أنفسهم على البذل للتّمكين للرسالة، لا يسألون اللّه نصرا قبل أن يسألوا أنفسهم بذلا. و على هذا عاش منهم فى مكة من أنس فى نفسه قوة على احتمال الأذى، و لم يخش أن يفتن فى

دينه، و هاجر منهم إلى الحبشة من لم يقو على احتمال الأذى، و خاف أن يفتن فى دينه، حتى إذا كانت الهجرة إلى المدينة، لم ينظر المهاجرون إلى وطن عزيز عليهم، و أهل أقرباء، إلى نفوسهم، و مال هو قوام حياتهم، و إنما نظروا إلى عقيدة هى لهم الحياة كلها، وطنا و أهلا و مالا. و سرعان ما لحق بهم الرسول إلى المدينة، ليبدأ بالمهاجرين معه من مكة، و بالأنصار أهل المدينة، مرحلة جديدة من مراحل الدعوة، تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۴۲ كانت معها حروب، و كانت معها تضحيات، و كان نصر اللّه صنو نصر المسلمين لرسوله و لرسالته. و كتب اللّه بجهاد المجاهدين لهذه الدعوة أن تستقرّ، و كتب لها أن تدخل بهم مكة فاتحين، ليمحوا كلمة الإثم، و يردوا أهلها إلى الهدى. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۴۳

۷- غزوات الرسول صلى الله عليه و سلم

۷- غزوات الرسول صلى الله عليه و سلم و غزا رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بالمسلمين سبعا و عشرين غزوة، كما بعث بعوثا، و أرسل سرايا، بلغت جميعها ثمانيا و ثلاثين. و كانت هذه البعوث و السّرايا و الغزوات كلها دفاعا عن النفس، و ذيادا عن الحق، فلقد لبث الرسول بالمسلمين، منذ بدأت الدّعوة، ثلاث عشرة سنة داعيا إلى اللّه بالمعروف، يعرّض به كما يعرّض بالمسلمين، فلا يعنيه و لا يعنيهم هذا التّعريض، و يؤذى المسلمون بين يديه، فيدعوهم إلى الصّبر و لا يهيجهم إلى الشّر، و كان ذلك يظن عن ضعف، حين كان المسلمون قلّة، فما بالك بهم بعد أن أصبحوا كثرة، و كم من أيّام آب فيها الصحابة إلى الرسول و هم ما بين مشجوج و مضروب، يستأذنونه فى أن يردّوا عن أنفسهم، أو يثأروا من ضاربيهم، فما كان جواب الرّسول لهم إلا- قوله: اصبروا، فإنّى لم أومر بقتالهم. و كانت حكمة السّماء فى هذا الصّبر أن يخرج الرسول بالأمة العربية من بعده، على ودّ لم يعكّره عداء أو عدوان، و كانت حكمتها فى الإرخاء فيه إلى أن بلغ ثلاثة عشر عاما، أن تعذر إلى من لم يسلموا، و لم يكونوا غير أهل و إخوان، الإعذار كلّه، فلا تذر فى أيديهم سببا من أسباب اللّوم، ثم كانت حكمة السّماء فى هذا الصّبر الطويل أن تخلق فى المسلمين قوة الاحتمال و الجلد و الأناة و التّرفّق، إلى غير ذلك من صفات تعوز النفوس المقبلة على مهامّ جسيمة، و هل كانت رسالة الاسلام إلا- رسالة جسيمة. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۴۴ حتى إذا ما أعذر المسلمون إلى إخوانهم، و أبلغوا فى الإعذار، و صبروا و أمعنوا فى الصّبر، لم يكن بدّ من أن تتولّى حكمة السماء هؤلاء الصابرين بتدبير، يحفظ عليهم صبرهم من أن ينفد، و يحفظ عليهم وجودهم من أن يستذلّ، و ترعى لهم كيانهم من أن يهان، و ما جاءت الدّعوة الجديدة إلا لتحمى لهؤلاء وجودهم و كيانهم، لهذا أذن للرّسول فى أن يدفع عن نفسه و عن المسلمين. و نحن إذا تتبعنا الغزوات غزوة غزوة، و السّرايا سريّة سريّة، و البعوث بعثا بعثا، لا نجدها خرجت جميعها إلا لتدفع غزوا، أو لترهب حتى تمنع غزوا. فلقد خرج حمزة على أول بعث بعد سبعة أشهر من الهجرة، ليلقى عيرا لقريش فيها أبو جهل، قادمة من الشام، و كان هذا البعث الأول نذيرا لقريش، علّه يكفّها عن غيّها، لم يقصد فيه المسلمون إلا إلى هذا، فحين دخل بين الفريقين رجل صلح كفّ المسلمون أيديهم، و لم يدخلوا فى قتال. و بعد شهر من هذا البعث خرجت سريّة لتلقى أبا سفيان فى نفر من أصحابه، و كانت بين الفريقين مناوشة، أصيب فيها سعد بن أبى وقّاص، بسهم من سهام المشركين، فكان أول سهم أصيب به مسلم فى الإسلام. ثم كانت سريّة سعد بن أبى وقاص، التى خرجت تعترض عيرا لقريش، فمرّت العير و لم تقع عليها السريّة. و على رأس اثنى عشر شهرا من الهجرة خرج رسول اللّه و جمع من تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۴۵ المسلمين يريدون ودّان- الأبواء- حيث عير لقريش، و حيث بنو ضمرة الذين كانوا يعينون عليه، و رجع رسول اللّه بمن معه من هذه الغزوة، بعد أن صالحته بنو ضمرة على ألا تعين عليه. و لقد فاتته عير قريش فى هذه الغزوة، كما فاتته فى غزوة بعدها، هى غزوة بواط «۱»، و كانت بعد شهر من غزوة ودّان. و بعد غزوة بواط كانت غزوة بدر الأولى، التى خرج فيها رسول اللّه ليدرك كرز بن جابر الفهرىّ، و كان قد أغار على المدينة و استاق سرحا لها، غير أن كرزا فات جيش المسلمين فلم يدركوه. و على رأس ستة عشر شهرا من الهجرة خرج حمزة بن عبد المطلب فى نفر من المسلمين، يريدون عيرا لقريش، قافلة من الشام، و حين أدركوا العشيرة «۲»، و جدوا أن العير فاتتهم. و بعد شهر خرجت سرية فى اثنى عشر رجلا

تبغى نخلة، و هو مكان بين مكة و الطائف، لترصد قريش و تعرف ما عندها، غير أن تلك السّريّة التقت بعير لقريش، فكان بينهما عدوان، تورّط فيه المسلمون و عادوا بغنائم و أسرى، و كانوا فى رجب، و هو شهر حرام، فعاتبهم الرسول عليها حين عادوا إليه. ثم كانت غزوة بدر الثانية، فى السابع عشر من رمضان، فى السنة الثانية من الهجرة، و كانت بسبب تلك العير التى فاتت المسلمين فى

(_____ ۱) بواط: من جبال جهينة قرب ينبع (معجم البلدان: ۱: ۷۵۰). (۲) العشيرة: من ناحية ينبع، بين مكة و المدينة (معجم البلدان: ۳: ۶۸۱). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۴۶

العشيرة، و فيها كانت الحرب بين المسلمين و المشركين، و فيها انتصف المسلمون من المشركين، على الرّغم من قلّة عدد المسلمين، و كثرة عدد المشركين. و بعد ليال سبع من مرجع المسلمين من بدر، خرج الرسول يريد بنى سليم. و كانوا يعينون على المسلمين، و حين أحسّ بنو سليم بالمسلمين يطلبونهم ولّوا هاربين. و هكذا بدأت رهبة المسلمين تدبّ فى قلوب المشركين، و بعد أن كانوا قلّة مستضعفين غدوا كثرة مرهوبين. و هنا أحبّ أن أقف بك وقفة قصيرة، فالحديث عن هذه الغزوات و السّرايا و البعوث ذو شقّين، ينتهى شقّه الأول إلى ما قبل بدر الثانية، ثم هو منذ بدر الثانية ذو شقّ آخر. و لقد مرّ بك فى هذا الشّق الأول عرض لكل ما كان فيه من هذه السّرايا و البعوث و الغزوات، و لقد رأيت فيها المسلمين قد شمّروا لإثبات وجودهم، و ليظهروا فى مظهر القوىّ، بعد أن عاشوا فى مظهر المستضعف، و أن ذلك كان منذ أن استقرّت أقدامهم فى المدينة بقليل، و أنهم لم يلبثوا غير سبعة أشهر فى المدينة، كان بعدها خروجهم لهذا الإعلان عن قوتهم. و الدّعوات عجلة بقدر ما هى مستأنية، تستأنى و تطيل الاستئناء ما وجدت فى هذا الاستئناء الخير، و تعجل فتسرع إلى العجلة ما وجدت فى هذه العجلة الخير. و لقد تلبّث الرسول بمن معه من المسلمين ثلاثة تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۴۷ عشر عاما- كما قلت لك- لا يحب أن يخرج بالمسلمين عن الصبر و الاحتمال، لأسباب بينتها لك، حتى إذا ما نفدت حكمة الصبر كانت حكمة الخروج عن الصّبر. و لقد خرج المسلمون من المدينة فى تلك السّرايا و البعوث و الغزوات ليثبتوا للملإ من حولهم أنهم خرجوا عن صبرهم، و ليثبتوا للملإ من حولهم أنهم قوة تملك أن ترهب. و لا غرو أنّ نرى هذا الشّقّ الأول كلّه يمضى فى التعرّض لعير بعد عير، فلقد كان هذا أسلوب ذلك العصر فى الإرهاب، و ما أراد المسلمون غير أن يهابوا و يرهبوا، و أن يبادلوا جيرانهم هذا الأسلوب الإرهابىّ. و لم يكن فيه عليهم غضاضة، فلقد رأيتهم فى كل ما فعلوا لم يقصدوا إلا الإعلان عن خروجهم، و لقد فاتتهم العير فى الكثير من خرجاتهم، و حين التقوا بخصومهم مرة كان هذا الصّدام الذى تمّ بين حمزة و أبى جهل فى البعث الأول، ثم لقد رأيت كيف عاتب الرسول أصحابه على ما كان منهم فى نخلة. إذا لم يكن صحيحا ما اتّهم به المغرضون محمدا و أصحابه عن هذا الشّق الأول من الحروب بأنها كانت للسّلب، فلقد رأيت معى كم سلب المسلمون فيها، و كم عيرا لقوا. و الصّحيح، كما ثبت لك، أن هذه الحروب- إن صح أنها كانت حروبا- لم يقصد فيها المسلمون إلا إلى الذى حدّثتك عنه، و أنها لم تكن عير وثبة بعد صبر طويل، و كانت وثبة تحكى و ثبات العصر تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۴۸ شىء و تخالفه فى شىء، تحكيه فى مظهرها الإرهابى، و تخالفه فى مظهرها السّلبىّ. و منذ أن دخل المسلمون مع المشركين فى غزوة بدر الثانية، بدأ الشّقّ الثانى من الحروب. فلقد أخذت الحرب فى هذا الشّقّ الثانى مظهرها الحق، فنشبت تمليها الخصومة القائمة بين عقيدة و عقيدة، و كان الخروج إليها خروجا من أجل إثبات عقيدة و محو أخرى، و اختفت تلك الأسباب الأولى التى أثارت حروب الشّقّ الأول، اختفى مظهر الإرهاب و ما إليه، من تتبع عير أو التعرّض لها، و بدأ مظهر التطاحن من أجل العقيدة، و من أجل نشر العقيدة، و على هذا توالت غزوات الشّقّ الثانى. فكانت غزوة بنى سليم، التى حدثتك عنها، ثم غزوة بنى قينقاع يهود المدينة، و كانوا على غير صفاء مع المسلمين، و بعد هذه الغزوة كانت غزوة السّويق، التى خرج فيها أبو سفيان ليثأر ليوم بدر. و حين رجع الرسول من غزوة السّويق، خرج يغزو غطفان، و كان قد بلغه أنهم أعدّوا العدّة لغزوه. ثم كانت غزوة أحد «۱»، التى خرج فيها المشركون ليثأروا من المسلمين بيوم بدر، و فيها خالف المسلمون أمر الرّسول و تدبيره، فكانت الغلبة للمشركين.

(_____ ۱) أحد: جبل بينه و بين المدينة قرابة

ميل، فى شمالها. (معجم البلدان ۱: ۱۴۲). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۴۹ و بلغ رسول اللّه، عقب قفوله من «أحد»، أنّ المشركين يهمّون بالرّجوع إلى المدينة، بعد أن كسبوا شيئا من النصر فى «أحد»، فخرج الرسول بأصحابه، الذين كانوا معه فى «أحد» وحدهم، إلى حمراء الأسد، على ثمانية أميال من المدينة، حتى لا يطمع فيه عدوّه. و فى ربيع الأول من السّنة الرابعة للهجرة كانت غزوة بنى النّضير، من يهود المدينة، و كانوا قد كادوا للرسول و همّوا بقتله. و بعد هذه الغزوة بنحو من شهرين خرج رسول اللّه إلى غزوة ذات الرّقاع «۱»، ليغزو قوما من غطفان، كان قد بلغه عنهم أنهم جمعوا جموعا لمحاربته. ثم كانت غزوة بدر الأخيرة، و قد كان أبو سفيان حدّد موعدها بعد بدر الثانية، غير أنه خشى بأس المسلمين فلم ينهض إليهم. و لمثل ما خرج إليه الرّسول يوم ذات الرّقاع، كان خروجه إلى دومة الجندل- مدينة بينها و بين دمشق خمس ليال، و تبعد عن المدينة خمس عشرة ليلة- فلقد بلغ الرسول أن قوما يعسفون، و أنهم على أن يمتدّوا بعسفهم إلى المدينة، فخرج إليهم، فإذا هم يفرون، فعاد المسلمون و قد غنموا شيئا. و لمثل هذا أيضا كان خروج الرسول إلى المريسيع «۲». و اتّفقت كلمة اليهود مع كلمة المشركين على أن يغزوا محمدا فى

(_____ ۱) ذات الرقاع: موضع بنجد (معجم البلدان: ۲: ۷۹۸). (۲) المريسيع: ماء فى ناحية قديد (معجم البلدان. ۴: ۵۲۵). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۵۰ المدينة مجتمعين، فكانت غزوة الخندق، التى حفر فيها الرسول خندقا حول المدينة، يحميها من هذا الهجوم، و لقد كتب فيها النّصر للمسلمين، و ارتدّ المشركون عن المدينة مدحورين. و لم يكن بدّ من أن يأخذ المسلمون اليهود لمناصرتهم لقريش فى غزوة الخندق، فما كاد المشركون يرتدّون عن المدينة حتى خرج المسلمون لغزو بنى قريظة، و إملاء شروطهم عليهم. و كانت بعد هذه غزوات و سرايا، كان الخروج إليها لمثل تلك الأسباب التى مرت بك، إلى أن كان أمر الحديبية «۱» حين خرج رسول اللّه يريد مكة، بعد ست سنوات من الهجرة، و حيث كانت المصالحة بينه و بين قريش، على أن يرجع عنهم عامهم هذا. و فى السّنة السابعة من الهجرة كانت غزوة خيبر «۲»، حيث اجتمع اليهود على حرب المسلمين، ثم فتحها. و بين غزوة خيبر سنة سبع، و فتح مكة سنة ثمان، كانت سرايا و غزوات، لردّ عدوان أو كبت خصومة. و بفتح مكة عاد الإسلام إلى مواطن الرّسالة و مكان البيت، و قضى على كلمة الشّرك القضاء الأخير، بعد أن اقتحم عليه معقله. و لقد خاض المسلمون بعد فتح مكة حربين، حملوا عليهما،

(_____ ۱) الحديبية: موضع بينه و بين مكة مرحلة، و بينه و بين المدينة تسع مراحل (معجم البلدان: ۲: ۲۲۲). (۲) خيبر: موضع على ثمانية برد من المدينة (معجم البلدان: ۴: ۵۰۳). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۵۱ كانت أولى هاتين الحربين غزوة حنين «۱»، التى تهيأت فيها هوازن لحرب الرسول، و كانت بينهم و بين المسلمين حرب طاحنة، كتب فيها النصر أخيرا للمسلمين. و تبعت هذه الحرب حرب ثانية، كانت امتدادا للحرب الأولى، و هى غزوة الطائف. و كانت بعد غزوة الطائف سرايا من نوع ما سبق من سرايا، إلى أن كانت غزوة تبوك «۲» سنة تسع، و كانت آخر غزواته، صلى اللّه عليه و سلم، و كان قد خرج فيها للقاء الرّوم، و لم يكن لقاء. و إنّ نظرة إلى جيش المجاهدين المسلمين، عند أول بعث خرجوا له، و عند آخر جيش تعبئوا له، ندرك كيف بدأ المسلمون و كيف انتهوا، فلقد كان بعث حمزة ثلاثين راكبا، و كان جيش تبوك ثلاثين ألفا، و كانت الخيل فيه عشرة آلاف. و هكذا خلقت العقيدة من القلّة كثرة، و من الضّعف قوّة، و بعد أن كان المؤمنون قلّة مستضعفين، غدوا كثرة مرهوبين. و كان نصر اللّه فى ظل راياتهم أنّى تخفق، و مع خطوات جيوشهم أنى تسير.

(_____ ۱) حنين: موضع قريب من مكة، بينه و بينها ثلاث ليال (معجم البلدان: ۲ : ۳۵۱). (۲) تبوك: موضع بين وادى القرى و الشام (معجم البلدان: ۱ : ۸). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۵۲

۸- عرض لحياة الرسول صلى اللّه عليه و سلم

۸- عرض لحياة الرسول صلى اللّه عليه و سلم و فى ذى الحجّة من السنة العاشرة للهجرة، حجّ الرسول بالمسلمين حجّة الوداع، و فيها خطب الناس خطبته البلقاء، التى رسم للناس فيها الحدود، و ذكّرهم بمعالم الدّين، و فيها ودّع الناس، و كأنه يحس أنه ملاق ربّه. و فى أواخر صفر من السنة الحادية عشر للهجرة، أخذ المرض رسول اللّه، و لبث مريضا أياما، يقدّرها بعضهم بسبعة أيام، و يقدّرها بعضهم بثلاثة عشر يوما. و فى يوم الاثنين، الثانى عشر من ربيع الأول، من تلك السّنة- أعنى السنة الحادية عشرة للهجرة- قبض رسول اللّه عن ثلاث و ستين سنة قمريّة. و كانت سنو بعثته، منذ بعثه اللّه إلى أن قبضه إليه، نحوا من ثلاثة و عشرين عاما، قضى أكثرها، و ما يزيد على نصفها فى مكّة، تسانده زوجته خديجة، إلى أن ماتت قبل الهجرة إلى المدينة، بنحو من أعوام ثلاثة. و فى المدينة عاش الرسول نحوا من أحد عشر عاما، وقعت فيها الغزوات كلها، و السّرايا و البعوث كلها، و على الصّحيح فى تسع منها، لأن أول بعث كان فى السنة الثانية من الهجرة. و إذا علمنا أن مجموع تلك الحروب كان نحوا من خمس و ستّين، علمنا أنّ نصيب كلّ عام من تلك الأعوام من هذه الحروب بلغ الثمانى، أى إنه، صلى اللّه عليه و سلم، كان له فى كل شهر تدبير جيش، و لقاء عدوّ، هذا إلى تلك التّشريعات تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۵۳ الكثيرة التى وضعها عن أمر ربّه، و الحدود التى بيّنها بوحى من ربّه، ثم ما بين هذا و ذاك من لقاء وفود، و لقاء أفراد، و كتب إلى الملوك و الأمراء، و قيام بأمور المسلمين جميعا، و ما كان أكثرها. ترى فى ظلّ هذا كلّه كيف كان الرسول يفرغ لشأنه، و كم من ساعات يومه كانت له خالصة، و نحن نعلم، إلى هذا الذى ذكرناه له من واجبات، واجبات أخرى، كانت لربّه يختصها بالعبادة. هذه هى حياة أعوام تسعة، رأيت كيف ملأت الواجبات الثّقال صفحاتها، و رأيت كيف شغل فيها الرسول بتدبير شئون العقيدة شغلا متّصلا. و من الغريب أن هذه الأعوام التسعة، التى لا نكاد نجد فيها بين ساعاتها ساعة كانت للرسول خاصة، هى الأعوام التى يتطاول المتقوّلون فيقولون: إن الرسول عاش فيها لمتاعه، و إنه بنى فيها بأربع عشرة امرأة. و هذا التّطاول يردّه ما قدّمت، و يردّه أن الرسول فى شبابه لم تعهد عليه ريبة، و قد بنى بخديجة و هو فى الخامسة و العشرين، و بقى معها إلى أن توفاها اللّه قبل الهجرة بأعوام ثلاثة، كما مرّ بك. و كان عمره إذ ذاك خمسين سنة. و كانت أول امرأة تزوّجها بعد وفاة خديجة هى سودة بنت زمعة، و كانت تحت ابن عمّها السّكران بن عمرو، و كان السكران هو و زوجته من مهاجرة الحبشة، و حين رجع بزوجه من الحبشة إلى مكة مات بها، و لم يكن له عقب يرعى سودة، فتزوّجها الرسول. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۵۴ و لم يتزوج رسول اللّه بكرا غير عائشة بنت أبى بكر، و بنى بها بالمدينة، كما تزوج حفصة بنت عمر بن الخطاب، و كانت تحت خنيس بن حذافة السّهمى، ثم مات خنيس فعرضها عمر على أبى بكر فلم يجب، ثم عرضها على عثمان فسكت، و رأى الرسول الأسى فى وجه عمر فضم حفصة إليه. و ضم إليه الرسول زينب بنت خزيمة، بعد أن قتل عنها زوجها عبد الله بن جحش، يوم أحد. و ضمّ إليه بنت عمته زينب بنت جحش، و كانت من قبله زوجة لمولاه زيد بن حارثة. و بعد زينب ضم إليه الرسول رملة بنت أبى سفيان، و كانت هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى الحبشة، بعد أن أسلما، ثم تنصّر زوجها هناك فى الحبشة، و مات بها، و أبت هى أن تتنصّر، و بقيت على إسلامها، فتزوجها الرسول و هى بالحبشة. و ضم إليه الرسول هند بنت أبى أمية، و كانت هى الأخرى من مهاجرات الحبشة، توفى عنها زوجها، و خلّف لها ولدين و بنتين. و ضم إليه الرسول خالة خالد بن الوليد، ميمونة بنت الحارث، و كانت قبله عند أبى رهم العامرىّ. و ضم إليه رسول اللّه صفيّة بنت حيّ بن أخطب، و كانت زوجة لسلّام بن مشكم اليهودىّ، ثم لكنانة بن أبى الحقيق، فقتل عنها كنانة يوم خيبر. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۵۵ و ضم إليه رسول اللّه جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار، و كانت فى سبى غزوة المصطلق، و ما إن علم المسلمون بزواج الرسول منها حتى أطلقوا ما فى أيديهم من بنى المصطلق، و قد بلغ عدد من أعتقوا مائة. ثم ضم إليه خولة بنت حكيم، التى وهبت نفسها له. و ثمة امرأتاه هما: عمرة، و أميمة، بانتا عنه قبل أن يبنى بهما. فهن جميعا، بما فيهن خديجة خمس عشرة امرأة، دخل الرسول بثلاث عشرة منهن، و قد تمّ هذا قبل أن ينزل الوحى بتحريم الجمع بين ما زدن على أربع. و أنت ترى أن اثنتين منهن، و هما عائشة و حفصة، كانتا لابنى صحابيين جليليين، هما أبو بكر و عمر، و أنّ ثلاثا منهن كن من المهاجرات إلى الحبشة اللاتى فقدن أزواجهن، و هن: سودة، و رملة، و هند؛ و أنّ واحدة منهن، و هى زينب بنت خزيمة، قتل عنها

زوجها يوم أحد، و أنّ واحدة أخرى كانت خالة لخالد بن الوليد الفارس المعروف، و كان بناء الرسول بها مع دخول خالد فى الإسلام، و أنّ واحدة منهن، و هى جويرية بنت الحارث، قرّب الرسول ببنائه بها ما بين بنى المصطلق و المسلمين، و أن واحدة منهن، و هى بنت عمته، زينب بنت جحش، كان بناؤه بها تشريعا فى الإسلام فى إبطال جعل المولى له حكم الابن، و أنّ واحدة منهن، و هى خولة بنت حكيم، كانت قد وهبت نفسها للنبى. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۵۶ و أما عن صفيّة بنت حيىّ اليهودية فلقد كادت تثير لجاجا بين المسلمين، حين وقعت فى نصيب دحية بن خليفة الكلبىّ، فحسم الرسول هذا الخلاف ببنائه بها، و كانت من بيت رئاسة فى اليهود. أ رأيت إلى الرسول و من بنى بهن، و كيف بنى بهن، ثم أ رأيت إلى أن هذا كلّه كان فى تلك الأعوام التى أحيطت بالشدائد، و كان عبء تدبير هذا كله على عاتقه. ثم استمع لتعلم كيف كان الرسول فى حياته، لقد كان زاهدا فى دنياه، غليظا على نفسه فى مسكنه و مأكله و مشربه و ملبسه، و كثيرا ما كان يجترئ بالخبز و الماء. و كم كانت الشهور تمضى دون أن توقد فى داره نار لطهى، و كثيرا ما رئى و هو يرفو ثوبه بيده. و كان صلى اللّه عليه و سلم يرقد ليس بينه و بين الأرض إلا حصير قد أثّر بجنبه، و تحت رأسه و سادة من أدم محشوة ليفا، و كانت بيوته من لبن، و الحجر من جريد النخل، على أبوابها المسوح من شعر أسود. و لقد دخلت امرأة من الأنصار على عائشة فرأت فراش رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم عباءة مثنية، فانطلقت فبعثت إليها بفراش حشوه صوف، فدخل عليها رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فقال: ما هذا فأخبرته، فأمرها بردها ثلاثا، فلم تفعل، فقال لها صلى اللّه عليه و سلم؟ يا عائشة، لو شئت لأجرى اللّه معى جبال الذهب و الفضة. ثم هو بعد هذا كان القوّام الصوّام المتبتل. فأية دنيا تلك التى أرادها الرسول بهذا الزواج؟ و إن حياة الرسول الأولى لتملى عليه حياته تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۵۷ الثانية، و لقد كان الرسول عفّا فى شبابه، أثقل أعباء مع عفته فى حياته الأخيرة. صفحات من جهاد طويل متصل أخرج بها محمد الجزيرة العربية من عماية الضلال إلى نور الحقيقة، و من رجس الشرك إلى طهر الإيمان، و من آثام الباطل إلى صالحات الأعمال. فإذا الجزيرة العربية على دين الإسلام، تؤمن بربّ واحد حقّ، بعد أن كانت موزّعة بين أرباب كثرة زائفة، برئت من الأوثان و الأصنام، و كانت آفة العقل، و اطرحت وأد البنات، و كان سبة الأبد، و عفّت عن الآثام، و كانت غارقة فيها للأذقان، و استقامت على الطريق لتحمل راية الدعوة، تبشّر بها فى الآفاق، فإذا هى بعد قليل قد أظلّت برايتها بقاعا لا تحصى، و خلقا لا يعد. تلك حياة الرسول أجملت لك مآثرها و ما تمّ منها، و ما تم هذا كلّه بعيدا عن تدبير السماء، و ما تمّ هذا كله إلا عن وحى متصل يملى على الرسول بكرة و عشيّا، فيمليه هو على قومه بكرة و عشيّا. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۵۸

۹- كتاب اللّه

۹- كتاب اللّه و هذا الوحى الذى تلقّاه الرسول عن ربّه، و تلقّاه المسلمون عن رسولهم، إلى أن قبضه اللّه إليه، هو هذا الكتاب الكريم الذى جمع للمسلمين دينهم، و جمعهم على دينهم، و حفظ لهم حياتهم أمّة مسلمة، و حفظهم على حياتهم إخوة مسلمين. و ما من شك فى أن هذا الكتاب الكريم يحمل معجزة ثانية خالدة بخلوده، فلقد كانت معجزته الأولى فى بيانه الذى خرست معه الألسنة فما تنطق، و فى فصاحته التى شدهت معها الأفئدة فما تعى، و سوف يظل هذا البيان، و تلك الفصاحة، حجة على العالمين. تلك كانت معجزة القرآن الأولى، يوم طالع الرسول العرب، و هم ما هم بيانا و فصاحة، فخرّوا لها ساجدين، و أذعنوا لها مسلمين. أما عن معجزته الثانية فهى فى حمايته أمة من أن تشيع فى أمم، و لغة من أن تذوب فى لغات. فما نعرف شيئا حمى اللغة العربية من الضّياع- مع تلك الأزمات العاصفة التى مرّت بها، و التى كم أودت مثيلات لها بلغات و بلبلت من ألسنة- غير هذا الكتاب الكريم. أبعدت ما أبعدت الشعوب العربية عن الكلام بلغتها العربية، و كان هو مردّها إليها، كلما أوشكت أن تنفصم صلتها بها ربطها هو بها. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۵۹ و هكذا عاشت الأمة العربية بعيدة بكل ما فى يديها عن لغتها، قريبة بهذا الكتاب وحده إلى لغتها. و حين حمى هذا الكتاب اللغة لأهلها، حمى هؤلاء العرب من أن يتفرّقوا أبدى سبا، فلو أنّ الزمن بلبل ألسنتهم أمما مختلفة، ذات ألسنة

مختلفة، ما وجدت بينهم هذه الصّلة الضامة من اجتماع على تراث خالد، كان هو بمثابة الأب الرّوحى، الذى يصل بين الأرواح و النفوس و القلوب. و يكذبك من ينكر عليك أثر اللغة فى التقريب بين شعوب مختلفة الجنس، فما بالك بشعوب يكاد يجمعها جنس واحد. و كما حفظ هذا الكتاب الكريم هذا المقوّم للأمة العربية، حفظ مقوما آخر هو الدين، فلقد عاش هذا الكتاب على الألسنة و فى القلوب، فوق ما هو مكتوب يسمع و يتلى فى أوقات متلاحقة متصلة، لا يكاد الناس ينسون حتى يتذكروا، و لا يكادون يبعدون حتى يقربوا، فإذا هم على دينهم كما هم على لغتهم، و إذا هذه اللغة و ذاك الدين يمسكان الأمة العربية فلا تضل عنها لغتها، و لا تضل هى عن دينها. و لا غرو أن كانت للمسلمين به عنايات متصلة طالت و تنوعت، و هذا أو ان ضم هذا كله فى سرد مختصر جامع، يعرف به المسلم ما يتصل بقرآنه فى يسر يسير، دون أن يفوته شىء، أو يبهم عليه أمر. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۶۱

الباب الثانى القرآن الكريم

۱- أمية الرسول

۱- أمية الرسول لقد كان محمد أميّا، لا يعرف أن يقرأ، و لا يعرف أن يكتب، ما فى ذلك شكّ، يدلّك على ذلك اتخاذه، بعد أن أوحى إليه، كتّابا يكتبون عنه الوحى، منهم: أبو بكر الصدّيق، و عمر بن الخطاب، و عثمان بن عفان، و علىّ بن أبى طالب، و الزّبير بن العوّام، و أبىّ بن كعب بن قيس، و زيد بن ثابت، و معاوية بن أبى سفيان، و محمد ابن مسلمة، و الأرقم بن أبى الأرقم، و أبان بن سعيد بن العاص، و أخوه خالد بن سعيد، و ثابت بن قيس، و حنظلة بن الرّبيع، و خالد بن الوليد، و عبد اللّه بن الأرقم، و العلاء بن عتبة، و المغيرة بن شعبة، و شرحبيل بن حسنة. و كان أكثرهم كتابة عنه: زيد بن ثابت، و معاوية «۱». و يقال: إن علىّ بن أبى طالب، و عثمان بن عفان، كانا يكتبان الوحى، فإن غابا كتبه أبىّ بن كعب، و زيد بن ثابت. و كان خالد بن سعيد بن العاص و معاوية بن أبى سفيان يكتبان بين يديه، صلى اللّه عليه و سلم، فى حوائجه. و كان المغيرة بن شعبة، و الحصين بن تمير، يكتبان ما بين الناس. و كان عبد اللّه بن الأرقم بن عبد يغوث، و العلاء بن عقبة، يكتبان بين القوم فى قبائلهم و مياههم، و فى دور الأنصار بين الرجال و النساء.

(_____ ۱) الوزراء و الكتاب للجهشيارى

(۱۲- ۱۴) تاريخ الطبرى (۷: ۱۷۳ طبعة دار المعارف) العقد الفريد لابن عبد ربه (۴: ۱۶۱ طبعة لجنة التأليف) شرح المواهب اللدنية للزرقانى (۳: ۳۱۱). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۶۴ و كان زيد بن ثابت يكتب إلى الملوك، مع ما يكتبه من الوحى. و كان معيقيب بن أبى فاطمة، حليف بنى أسد، يكتب مغانم رسول اللّه، صلى اللّه عليه و سلم. و كان حنظلة بن الربيع بن المرقّع بن صيفى الأسيدى، خليفة كل كاتب من كتاب النبى، صلى اللّه عليه و سلم، إذا غاب عن عمله، فغلب عليه اسم الكاتب. و كان عبد اللّه بن سعد بن أبى سرح يكتب للنبى، صلى اللّه عليه و سلم، ثم ارتد و لحق بالمشركين «۱». كما يدلك على هذا ما كان عند صلح الحديبية، حين دعا رسول اللّه، صلى اللّه عليه و سلم، علىّ بن أبى طالب ليكتب ما صالح عليه رسول اللّه، صلى اللّه عليه و سلم، سهيل بن عمرو، رسول قريش إليه فى ذلك الصلح «۲». كما يدلك على ذلك أيضا ما ذكره المؤرخون، عند الكلام على غزوة «أحد»، أن العبّاس، و هو بمكة، كتب إلى النبى كتابا يخبره فيه بتجمع قريش و خروجهم، و أن العبّاس أرسل هذا الكتاب مع رجل من بنى غفار، و أن النبى، حين جاءه الغفارىّ بكتاب العبّاس، استدعى أبىّ بن كعب- و كان كاتبه- و دفع إليه الكتاب يقرؤه عليه، و حين انتهى «أبى» من قراءة الكتاب استكتمه النّبىّ. و لو كان النبى غير أمىّ لكفى نفسه دعوة «أبىّ» لقراءة كتاب العبّاس فى أمر ذى بال.

(_____ ۱) الوزراء و الكتاب للجهشيارى

(۱۳- ۱۴). (۲) السيرة لابن هشام (۳: ۳۳۱- ۳۳۲). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۶۵ و ثمة رابعة تزيدك دليلا رابعا، يذكرها المؤرخون أيضا مع وفود وفد ثقيف على النبى، فلقد سألوا النبى، حين أسلموا، أن يكتب لهم كتابا فيه شروط، فقال لهم: اكتبوا ما بدا

لكم ثم ائتونى به. فسألوه فى كتابهم أن يحل لهم الرّبا و الزّنا. فأبى علىّ بن أبى طالب أن يكتب لهم، فسألوا خالد بن سعيد بن العاص أن يكتب لهم، فقال له علىّ: تدرى ما تكتب؟ قال: أكتب ما قالوا، و رسول اللّه أولى بأمره. فذهبوا بالكتاب إلى رسول اللّه، فقال للقارئ: اقرأ، فلما انتهى إلى الرّبا، قال له الرسول: ضع يدى عليها، فوضع يده، فقال: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ ذَرُوا ما بَقِيَ مِنَ الرِّبا «۱» ثم محاها. فلما بلغ «الزناء» وضع يده عليها و قال: وَ لا تَقْرَبُوا الزِّنى «۱» ثم محاها، و أمر بكتابنا أن ينسخ لنا «۳». و لقد عثر الباحثون على الكتابين المرسلين من النبى إلى المقوقس و إلى المنذر بن ساوى، و الكتاب الأول محفوظ فى دار الآثار النبوية فى الآستانة، و كان قد عثر عليه عالم فرنسى فى دير بمصر قرب أخميم؛ و الكتاب الثانى محفوظ بمكتبة فينا. و من قبل هذه الأدلة يقول تعالى فى الرّسول: الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ «۴». و يقول تعالى فى الرسول أيضا: وَ ما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَ لا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ «۵ (_____». ۱) الإسراء: ۳۲. (۳) أسد الغابة ترجمة (تميم بن جراشة). (۴) الأعراف: ۱۵۶. (۵) العنكبوت: ۴۸. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۶۶ و لم تكن البيئة العربية على هذا بيئة كاتبة قارئة، بل كان ذلك فيها شيئا يعد و يحصى، و كان حظ المدينة من ذلك دون حظ مكة، و لم يكن فى المدينة، حين هاجر إليها الرّسول، غير بضعة عشر رجلا يعرفون الكتابة، منهم: سعد بن زرارة، و المنذر بن عمرو، و أبىّ بن كعب، و زيد بن ثابت، و رافع بن مالك، و أوس بن خولىّ. و لقد أحسّ الرسول ذلك بعد هجرته إلى المدينة، فكان أول ما فعله بعد انتصاره فى بدر، و أسره من أسر من رجال قريش القارئين الكاتبين، أن جعل فدية هؤلاء أن يعلّم كل رجل منهم عشرة من صبيان المدينة، و بهذا بدأت الكتابة تروج سوقها فى المدينة. حتى إذا كان عهد عمر بن الخطاب أمر بجمع الصبيان فى المكتب، و أمر عبد عامر بن عبد الخزاعى أن يتعهدهم بالتعليم، و جعل له رزقا على ذلك يتقاضاه من بيت المال. و كان المعلم يجلس للصبيان بعد صلاة الصبح إلى أن يرتفع الضحى، و من بعد صلاة الظهر إلى صلاة العصر. و حين خرج عمر إلى الشام و غاب عن المدينة شهرا استوحش إليه الناس، و خرج صبيان المكتب للقائه على مسيرة يوم من المدينة، و كان ذلك يوم الخميس، و رجعوا معه إلى المدينة يوم الجمعة، و قد انقطعوا عن المكتب يومين أجازهما لهم عمر، و كانت بعد ذلك عادة متّبعة «۱». و حين اختار اللّه لرسالته محمدا اختار فيه صفات حسّية و صفات معنوية، أمدهما به و طبعه عليهما، فوهبه من الأولى نفسا قوية، (_____ ۱) عنوان البيان. الفواكه الدوانى على رسالة أبى زيدون القيروانى. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۶۷ و روحا عالية، و قلبا كبيرا، و ذهنا وقّادا، و بصيرة نفاذة، و لسانا مبينا، و فكرا واعيا، و وهبه من الثانية صدق لسان، و طهارة ذيل، و عفّة بصر، و أمانة يد، و رحمة قلب، ورقة وجدان، و نبل عاطفة، و مضاء عزيمة، و رحمة للناس جميعا. و كان اختيار اللّه له، أميّا لا يقرأ و لا يكتب، يضيف إلى إذعان الناس له و إيمانهم برسالته سببا يفسره تعالى فى قوله: وَ ما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَ لا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ «۱»، و يبيّنه صدور هذا الوحى على لسانه يتلوه على قومه بكرة و عشيّا، و لا تبديل فيه و لا تغيير، و ما يقوى على مثلها إلا من يملك أسفارا يعود إليها ليستظهر ما فيها. و ليس فى منطق الرسالات أن تكون الحجة للناس عليها، بل هى لا تطالع الناس إلا و الحجة لها عليهم، كما لا تطالعهم إلا و فى صفحاتها الجواب على كل ما يصوّره لهم تصوّرهم؛ تحوط السماء رسالاتها بهذا كله لكيلا يكون للناس على اللّه حجة، و ليكون منطق الرسالات من منطق الناس، لا تلتوى عليهم الرسالة فيلتووا هم عليها. و لم يكن اختيار محمد قارئا و كاتبا شيئا يعز على السماء، و لكنه كان شيئا إن تم يهوّن من حجة السماء فى نفوس الناس، و كانوا عندها يملكون أن يقولوا باطلا ما حرص القرآن على ألا يقولوه: من أن هذا الذى جاء به الرسول أخذه من أسفار سابقة. و هذه التى ألزمتها حجة السماء السلف من قبل، فأذعنوا لها عن وعى (_____ ۱) العنكبوت: ۴۸. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۶۸ و بصر- و أعنى به أمية الرسول- أراد أن يثيرها نفر من الخلف من بعد ليخرجوا على حجة السماء عن غير وعى و لا بصر. غير أننا نفيد من هذا الذى يريد الخلف أن يثيروه تأكيد المعنى الذى قدّمناه من أن حجة السماء تجىء أشمل ما تكون

بشكوك العقول، محيطة بكلّ ما يصدر عنهم فيها، يستوى فى ذلك أولهم و آخرهم. و قد ننسى مع هؤلاء المخالفين الطاعنين تقرير القرآن الصادق عن أمية محمد، و الأدلة القائمة فى ظل القرآن على ذلك، قد ننسى هذا و ذاك لنسائلهم: أى جديد يفيدهم هذا- إن صح- و قد مضى على رسالة محمد ما يقرب من أربعة عشر قرنا، خطا فيها العلم و البحث خطوات سريعة، و ما وجدنا شيئا ينال من هذه الرسالة من قرب أو من بعد، جهر به أو أسرّ من يريدون أن يجعلوا محمدا قارئا كاتبا، و أن يجعلوا من هذا سببا إلى أنه نقل عن أسفار سابقة. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۶۹

۲- نزول الوحى

۲- نزول الوحى و قد تقدم أن ابتداء نزول الوحى كان فى السابع عشر من رمضان، من السنة الحادية و الأربعين من ميلاد الرسول، و أن قوله تعالى: إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَ ما أَنْزَلْنا عَلى عَبْدِنا يَوْمَ الْفُرْقانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ «۱» يشير إلى ذلك، فالتقاء الجمعين- أعنى المسلمين و المشركين ببدر- كان فى السابع عشر من رمضان من السنة الثانية للهجرة، و فى مثلها من السنة الحادية و الأربعين من مولده كان ابتداء نزول الفرقان. ينضم إلى هذه الآية قوله تعالى: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَ بَيِّناتٍ مِنَ الْهُدى وَ الْفُرْقانِ «۲». و الصحيح أن أول ما نزل من القرآن قوله تعالى: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ «۳» ثم كانت فترة الوحى التى أشرنا إليها من قبل، و التى مكثت سنين ثلاثا. و بعدها أخذ القرآن ينزل على الرسول منجما، فنزلت: ن و القلم، ثم: المزمل، ثم: المدثر «۴»، إلى غير ذلك مما نزل مقامه صلى اللّه عليه و سلم بمكة، منذ بعث إلى أن هاجر، و كان ذلك اثنتى عشرة سنة و خمسة أشهر و ثلاثة عشر يوما، أى منذ اليوم السابع عشر من رمضان من سنة إحدى و أربعين من مولده إلى اليوم الأول من شهر ربيع الأول من سنة أربع و خمسين من مولده (_____. ۱) الأنفال: ۴۱.

(۲) البقرة: ۱۸۵. (۳) العلق: ۱. (۴) الفهرست لابن النديم (ص: ۳۷) المطبعة الرحمانية. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۷۰ و أما آخر ما نزل من القرآن الكريم فمختلف فيه، فقيل قوله تعالى: إِذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ «۱». و قيل: قوله تعالى: فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ «۲». و قيل: قوله تعالى: وَ اتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ «۳»، و كان بين نزولها و وفاة النبى، صلى اللّه عليه و سلم، أحد و ثمانون يوما، و قيل: تسع ليال. و المتفق عليه، و عليه المصحف الذى بين أيدينا، أن المدنى من سور القرآن ثمان و عشرون سورة، هى: (۱) البقرة (۲) آل عمران (۳) النساء (۴) المائدة (۵) الأنفال (۶) التوبة (۷) الرعد (۸) الحج (۹) النور (۱۰) الأحزاب (۱۱) محمد (۱۲) الفتح (۱۳) الحجرات (۱۴) الرحمن (۱۵) الحديد (۱۶) المجادلة (۱۷) الحشر (۱۸) الممتحنة (۱۹) الصف (۲۰) الجمعة (۲۱) المنافقون (۲۲) التغابن (۲۳) الطلاق (۲۴) التحريم (۲۵) الإنسان (۲۶) البينة (۲۷) الزلزلة (۲۸) النصر. و ما بعد هذه السور الثمانى و العشرين فهو مكى، أعنى نزل بمكة و ما حواليها. (_____ ۱) النصر: ۱. (۲) النساء: ۱۷۵. (۳) البقرة: ۲۸۱. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۷۱ أما على رأى من يقول: إن المراد بالمكى هو ما جاء خطابا لأهل مكة و أن المدنى هو ما جاء خطابا لأهل المدينة، فالأمر يختلف. و إذا عرفنا أن سور القرآن عددها أربع عشرة و مائة سورة «۱»، كان ما نزل بمكة هو ست و ثمانون سورة. و إذا شئت مزيدا من الحصر فعدد آيات السور المدنية الثمانى و العشرين هو ثلاث و عشرون و ستمائة و ألف آية «۱۶۲۳»، و عدد آيات السور المكية الست و الثمانين هو ثلاث عشرة و ستمائة و أربعة آلاف آية «۴۶۱۳»، فيكون مجموع آى القرآن، مدنية و مكية: ستا و ثلاثين و مائتين و ستة آلاف «۶۲۳۶». و هذا هو المعتد به. و أنت بهذا تجد أن أكثر القرآن نزل بمكة قبل الهجرة، و أن السور المدنية تكاد تعدل الثّلث من مجموع السور المكية، تزيد على الثلث قليلا، و أن مجموع آيات السور المدنية يكاد يعدل الثلث من مجموع السور المكية، ينقص عن الثّلث قليلا (_____ ۱) هذا ما عليه الإجماع. و من السلف

من يجعل الأنفال و براءة سورة واحدة، و على هذا يكون عدد السور ۱۱۳؛ و فى مصحف أبى ۱۱۶ لأنه زاد فى الآخر سورتين هما: الجيد و الخلع. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۷۲

۳- عدد الآيات

۳- عدد الآيات و الآية طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها و عما بعدها، و هى مسألة توقيفية أخذت عن الرسول. و هذا الاختلاف الذى وقع بين السلف فى عدد الآيات مرجعه إلى اختلاف السامعين عن الرسول فى ضبط الوقف و الوصل، فالمعروف أنه كان، صلى اللّه عليه و سلم، يقف على رءوس الآى للتوقيف، فإذا علم محلها وصل للتمام، فوهم بعض السامعين عند الوصل أن ليس ثمة فصل، و من هنا كان الخلاف. و سور القرآن بالنظر إلى اختلاف عدد آياتها ثلاثة أقسام: ۱- قسم لم يختلف فيه إجمالا و لا تفصيلا. ۲- قسم اختلف فيه تفصيلا لا إجمالا. ۳- قسم اختلف فيه تفصيلا و إجمالا- فالقسم الذى لم يختلف فيه إجمالا و تفصيلا أربعون سورة، و هى: (۱) يوسف: ۱۱۱- (۲) الحجر: ۹۹- (۳) النحل: ۱۲۸- (۴) الفرقان: ۷۷- (۵) الأحزاب: ۷۳- (۶) الفتح: ۲۹- (۷) الحجرات: ۱۸- (۸) التغابن: ۱۸ (۹) ق: ۴۵- (۱۰) الذاريات: ۶۰- (۱۱) القمر: ۵۵- (۱۲) الحشر: ۲۴- (۱۳) الممتحنة: ۱۳- (۱۴) الصف: ۱۴- (۱۵) الجمعة: ۱۱- (۱۶) المنافقون: ۱۱- (۱۷) الضحى: ۱۱- (۱۸) العاديات: ۱۱- (۱۹) التحريم: ۱۲- (۲۰) ن: ۵۲- (۲۱) الإنسان: ۳۱- (۲۲) المرسلات: ۵۰- (۲۳) التكوير: ۲۹- (۲۴) الانفطار: ۱۹- (۲۵) سبح: ۱۹- تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۷۳ (۲۶) التطفيف: ۳۶- (۲۷) البروج: ۲۲- (۲۸) الغاشية: ۲۶- (۲۹) البلد: ۲۰- (۳۰) الليل: ۲۱- (۳۱) أ لم نشرح: ۸- (۳۲) التين: ۸- (۳۳) ألهاكم: ۸- (۳۴) الهمزة: ۹- (۳۵) الفيل: ۵- (۳۶) الفلق: ۵- (۳۷) تبت: ۵- (۳۸) الكافرون: ۶- (۳۹) الكوثر: ۳- (۴۰) النصر: ۳. و القسم الثانى، و هو الذى اختلف فيه تفصيلا لا- إجمالا، أربع سور، و هى: (۱) القصص: ۸۸- يعد أهل الكوفة «طسم» آية، و يعد غيرهم بدلها أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ (الآية: ۲۲). (۲) العنكبوت: ۵۹- يعد أهل الكوفة «الم» آية، و يعد البصريون بدلها مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ (الآية: ۶۵). و الشاميون وَ تَقْطَعُونَ السَّبِيلَ (الآية: ۲۹). (۳) الجن: ۲۸- يعد المكى قُلْ إِنِّى لَنْ يُجِيرَنِى مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ (الآية: ۲۲). و يعد غيره بدلها وَ لَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً (الآية: ۲۲). (۴) العصر: ۳- الكثرة تعد «و العصر» آية، غير المدنى فإنه يعد بدلها وَ تَواصَوْا بِالْحَقِّ (الآية: ۳). و أما القسم الثالث، و هو الذى اختلف فيه تفصيلا و إجمالا، سبعون سورة، و هى: تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۷۴ (۱) الفاتحة- من حيث التفصيل، فالجمهور على أنها سبع آيات، يعد الكوفى و المكى البسملة دون «أنعمت عليهم». و يعكس الباقون. و من حيث الإجمال: فالحسن يعد آياتها ثمانى آيات، حين يعد البسملة و «أنعمت عليهم» آيتين. و يعدّها بعضهم ستّا، فلا يعدون هاتين الآيتين. كما يعدها آخرون تسعا، فيعدون هاتين و يضمون إليها «إياك نعبد». (۲) البقرة- ۲۵۸، و قيل: ۲۵۷، و قيل: ۲۵۶. (۳) آل عمران- ۲۰۰، و قيل: ۱۹۹. (۴) النساء- ۱۷۵، و قيل: ۱۷۶، و قيل: ۱۷۷. (۵) المائدة- ۱۲۰، و قيل: ۱۲۲، و قيل: ۱۲۳. (۶) الأنعام- ۱۶۵، و قيل: ۱۶۶، و قيل: ۱۶۷. (۷) الأعراف- ۲۰۵، و قيل: ۲۰۶. (۸) الأنفال- ۷۵، و قيل: ۷۶، و قيل: ۷۷. (۹) براءة- ۱۳۰، و قيل: ۱۲۹. (۱۰) يونس- ۱۱۰، و قيل: ۱۰۹. (۱۱) هود- ۱۲۱، و قيل: ۱۲۲، و قيل: ۱۲۳. (۱۲) الرعد- ۴۳، و قيل: ۴۴، و قيل: ۴۷. (۱۳) إبراهيم- ۵۱، و قيل: ۵۲، و قيل: ۵۴، و قيل: ۵۵. (۱۴) الاسراء- ۱۱۰، و قيل: ۱۱۱. (۱۵) الكهف- ۱۰۵، و قيل: ۱۰۶، و قيل: ۱۱۰، و قيل: ۱۱۱. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۷۵ (۱۶) مريم- ۹۹، و قيل: ۹۸. (۱۷) طه- ۱۳۰، و قيل: ۱۳۲، و قيل: ۱۳۴، و قيل: ۱۳۵. و قيل: ۱۴۰. (۱۸) الأنبياء- ۱۱۱، و قيل: ۱۱۲. (۱۹) الحج- ۷۴، و قيل: ۷۵، و قيل: ۷۶، و قيل: ۷۸. (۲۰) المؤمنون- ۱۱۸، و قيل: ۱۱۹. (۲۱) النور- ۶۲، و قيل: ۶۴. (۲۲) الشعراء- ۲۲۶، و قيل: ۲۲۷. (۲۳) النمل- ۹۲، و قيل: ۹۴، و قيل: ۹۵. (۲۴) الروم- ۶۰، و قيل: ۵۹. (۲۵) لقمان- ۳۳، و قيل: ۳۴. (۲۶) السجدة- ۳۰، و قيل: ۲۹. (۲۷) سبأ- ۵۴، و قيل: ۵۵. (۲۸) فاطر- ۶۴، و قيل: ۶۵. (۲۹) يس- ۸۳، و قيل: ۸۲. (۳۰) الصافات- ۱۸۱، و قيل: ۱۸۲. (۳۱) ص- ۸۵، و قيل: ۸۶، و قيل: ۸۸. (۳۲) الزمر- ۷۲، و قيل: ۷۳، و قيل: ۷۵. (۳۳) غافر- ۸۲، و قيل: ۸۴، و قيل: ۸۵، و قيل: ۸۶. (۳۴) فصلت- ۵۲، و قيل: ۵۳، و قيل: ۵۴. (۳۵) الشورى- ۵۳، و قيل: ۵۰. (۳۶) الزخرف- ۸۹، و قيل: ۸۸.

تاریخ القرآن(للأبیاری)، ص: ۷۶ (۳۷) الدخان- ۵۶، و قیل: ۵۷، و قیل: ۵۹. (۳۸) الجاثیة- ۳۶، و قیل: ۳۷. (۳۹) الأحقاف- ۳۴، و قیل: ۳۵. (۴۰) القتال- ۴۰، و قیل: ۳۹، و قیل: ۳۸. (۴۱) الطور- ۴۷، و قیل: ۴۸، و قیل: ۴۹. (۴۲) النجم- ۶۱، و قیل: ۶۲. (۴۳) الرحمن- ۷۷، و قیل: ۷۶، و قیل: ۷۸. (۴۴) الواقعة- ۹۹، و قیل: ۹۷، و قیل: ۹۶. (۴۵) الحدید- ۳۸، و قیل: ۳۹. (۴۶) المجادلة- ۲۲، و قیل: ۲۱. (۴۷) الطلاق- ۱۱، و قیل: ۱۲. (۴۸) الملک- ۳۰، و قیل: ۳۱، و الصحیح الأول. (۴۹) الحاقة- ۵۱، و قیل: ۵۲. (۵۰) المعارج- ۴۴، و قیل: ۴۳. (۵۱) نوح- ۳۰، و قیل: ۲۹، و قیل: ۲۸. (۵۲) المزمل- ۲۰، و قیل: ۱۹، و قیل: ۱۸. (۵۳) المدثر- ۵۵، و قیل: ۵۶. (۵۴) القیامة- ۴۰، و قیل: ۳۹. (۵۵) النبأ- ۴۰، و قیل: ۴۱. (۵۶) النازعات- ۴۵، و قیل: ۴۶. (۵۷) عبس- ۴۰، و قیل: ۴۱، و قیل: ۴۲. (۵۸) الانشقاق- ۲۵، و قیل: ۲۴، و قیل: ۲۳. تاریخ القرآن(للأبیاری)، ص: ۷۷ (۵۹) الطارق- ۱۷، و قیل: ۱۶. (۶۰) الفجر- ۳۰، و قیل: ۲۹، و قیل: ۳۲. (۶۱) الشمس- ۱۵، و قیل: ۱۶. (۶۲) العلق- ۲۰، و قیل: ۱۹. (۶۳) القدر- ۵، و قیل: ۶. (۶۴) البینة- ۸، و قیل: ۹. (۶۵) الزلزلة- ۹، و قیل: ۸. (۶۶) القارعة- ۸، و قیل: ۱۰، و قیل: ۱۱. (۶۷) قریش- ۴، و قیل: ۵. (۶۸) الماعون- ۷، و قیل: ۶. (۶۹) الإخلاص- ۴، و قیل: ۵. (۷۰) الناس- ۷، و قیل: ۶. تاریخ القرآن(للأبیاری)، ص: ۷۸

۴- ترتیب الآیات

۴- ترتیب الآیات و کما کان ضبط الآیات بفواصلها توقیفا، کذلک کان وضعها فی مواضعها توقیفا، دلیل ذلک الآیة (و اتقوا یوما ترجعون فیه إلی اللّه)- البقرة: ۲۸۱- کانت آخر ما نزل، فوضعها النبی عن وحی من ربه بین آیتی الربا «۱» و الدین «۲» من سورة البقرة، و هکذا کان الأمر فی سائر الآیات. (۱) ففی سورة الأنعام- و هی مکیة- الآیات: ۲۰ و ۲۳ و ۹۱ و ۹۳ و ۱۱۴ و ۱۴۱ و ۱۵۱ و ۱۵۳، فهی مدنیة. (۲) و فی سورة الأعراف- و هی مکیة- الآیات من ۱۶۳- ۱۷۰، فهی مدنیة. (۳) و فی سورة یونس- و هی مکیة- الآیات: ۴۰ و ۹۴ و ۹۵ و ۹۶، فهی مدنیة. (۴) و فی سورة هود- و هی مکیة- الآیات: ۱۲ و ۱۷ و ۱۱۴، فهی مدنیة. (۵) و فی سورة یوسف- و هی مکیة- الآیات: ۱ و ۲ و ۳ و ۷، فهی مدنیة. (۶) و فی سورة إبراهیم- و هی مکیة- الآیتان: ۲۸ و ۲۹، فهما مدنیتان.

(_____ ۱) البقرة: ۲۷۸ - ۲۸۰. (۲) البقرة: ۲۸۴. تاریخ القرآن(للأبیاری)، ص: ۷۹ (۷) و فی سورة الحجر- و هی مکیة- الآیة: ۸۷، فهی مدنیة. (۸) و فی سورة النحل- و هی مکیة- الآیات الثلاث الأخیرة، فهی مدنیة. (۹) و فی سورة الإسراء- و هی مکیة- الآیات: ۲۶ و ۳۲ و ۳۳ و ۵۷ و ۷۳- ۸۰، فهی مدنیة. (۱۰) و فی سورة الکهف- و هی مکیة- الآیات: ۲۸ و ۸۳- ۱۰۱، فهی مدنیة. (۱۱) و فی سورة مریم- و هی مکیة- الآیتان: ۵۸ و ۷۱، فهما مدنیتان. (۱۲) و فی سورة طه- و هی مکیة- الآیتان: ۱۳۰ و ۱۳۱، فهما مدنیتان. (۱۳) و فی سورة الفرقان- و هی مکیة- الآیات: ۶۸ و ۶۹ و ۷۰، فهی مدنیة. (۱۴) و فی سورة الشعراء- و هی مکیة- الآیات: ۱۹۷ و ۲۲۴- إلی آخر السورة، فهی مدنیة. (۱۵) و فی سورة القصص- و هی مکیة- الآیات: ۵۲- ۵۵، فهی مدنیة. (۱۶) و فی سورة العنکبوت- و هی مکیة- الآیات: من ۱- ۱۱، فهی مدنیة. (۱۷) و فی سورة الروم- و هی مکیة- الآیة: ۱۷، فهی مدنیة. تاریخ القرآن(للأبیاری)، ص: ۸۰ (۱۸) و فی سورة لقمان- و هی مکیة- الآیات: ۲۷ و ۲۸ و ۲۹، فهی مدنیة. (۱۹) و فی سورة السجدة- و هی مکیة- الآیات: من ۱۶- ۲۰، فهی مدنیة. (۲۰) و فی سورة سبأ- و هی مکیة- الآیة: ۶، فهی مدنیة. (۲۱) و فی سورة یس- و هی مکیة- الآیة: ۴۵، فهی مدنیة. (۲۲) و فی سورة الزمر- و هی مکیة- الآیات: ۵۲ و ۵۳ و ۵۴، فهی مدنیة. (۲۳) و فی سورة غافر- و هی مکیة- الآیتان: ۵۶ و ۵۷، فهما مدنیتان. (۲۴) و فی سورة الشوری- و هی مکیة- الآیات: ۲۳ و ۲۴ و ۲۵ و ۲۷، فهی مدنیة. (۲۵) و فی سورة الزخرف- و هی مکیة- الآیة: ۵۴، فهی مدنیة. (۲۶) و فی سورة الأحقاف- و هی مکیة- الآیات: ۱۰ و ۱۵ و ۳۵، فهی مدنیة. (۲۷) و فی سورة ق- و هی مکیة- الآیة: ۳۸، فهی مدنیة. (۲۸) و فی سورة النجم- و هی مکیة- الآیة: ۳۲، فهی مدنیة. (۲۹) و فی سورة القمر- و هی مکیة- الآیات: ۴۴ و ۴۵ و ۴۶، فهی مدنیة. تاریخ القرآن(للأبیاری)، ص: ۸۱ (۳۰) و فی سورة الواقعة- و هی مکیة- الآیتان: ۸۱ و ۸۲، فهما مدنیتان. (۳۱) و فی سورة القلم- و هی

مكية- الآيات: ۱۷- ۳۳ و ۴۸- ۵۰، فهى مدنية. (۳۲) و فى سورة المزمل- و هى مكية- الآيات: ۱۰ و ۱۱ و ۲۰، فهى مدنية. (۳۳) و فى سورة المرسلات- و هى مكية- الآية: ۴۸، فهى مدنية. (۳۴) و فى سورة الماعون- و هى مكية- الآيات من الرابعة إلى آخر السورة، فهى مدنية. هذا عن السور المكية و ما فيها من الآيات المدنية، أما عن السور المدنية و ما فيها من آيات مكية: (۳۵) ففى سورة البقرة- و هى مدنية- الآية: ۲۸۱، فقد نزلت فى حجة الوداع. (۳۶) و فى سورة المائدة- و هى مدنية- الآية: ۳، فقد نزلت بعرفات فى حجة الوداع. (۳۷) و فى سورة الأنفال- و هى مدنية- الآيات من ۳۰- ۳۶، فهى مكية. (۳۸) و فى سورة التوبة- و هى مدنية- الآيتان الأخيرتان، فهما مكيتان. (تأريخ القرآن) تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۸۲ (۳۹) و فى سورة الحج- و هى مدنية- الآيات: ۵۲ و ۵۳ و ۵۴ و ۵۵، فقد نزلت بين مكة و المدينة. (۴۰) و فى سورة محمد- و هى مدنية- الآية: ۱۳، فقد نزلت فى الطريق أثناء الهجرة. و يرتب الفقهاء على عدد الآيات أحكاما فقهية، من ذلك مثلا: من لم يحفظ الفاتحة فيجب عليه فى الصلاة بدلها سبع آيات. هذا فيمن عدّ الفاتحة سبعا، كما لا تصح الصلاة بنصف آية. و حدّ السورة فى القرآن أنها تشتمل على آيات ذات فاتحة و خاتمة. و أقل الآيات التى تشتمل عليها السورة ثلاث. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۸۳

۵- أسماء السور

۵- أسماء السور و كما كانت الآيات بفواصلها و بترتيبها توقيفا، كذلك كانت الحال فى السور فى جمعها و فى أسمائها، فكلاهما- أعنى اسم السورة و ما تنتظمه من آيات- توقيف. و قد يكون للسورة اسم واحد، و عليه الكثرة من سور القرآن، و قد يكون لها اسمان فأكثر، من ذلك مثلا: ۱- الفاتحة، فهى تسمى أيضا: أم الكتاب، و السبع المثانى، و الحمد، و الواقية، و الشافية. ۲- النمل، فهى تسمى أيضا: سورة سليمان. ۳- السجدة، فهى تسمى أيضا: سورة المضاجع. ۴- فاطر، فهى تسمى أيضا: سورة الملائكة. ۵- الزمر، فهى تسمى أيضا: سورة الغرف. ۶- غافر، فهى تسمى أيضا: سورة المؤمن. ۷- الجاثية، فهى تسمى أيضا: سورة الدهر. ۸- محمد، فهى تسمى أيضا: سورة القتال. ۹- الصف، فهى تسمى أيضا: سورة الحواريين. ۱۰- تبارك، فهى تسمى أيضا: سورة الملك. ۱۱- عم، فهى تسمى أيضا: سورة النبأ، و التساؤل، و المعصرات. ۱۲- لم يكن، فهى تسمى أيضا: سورة أهل الكتاب، و البينة، و القيامة. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۸۴

۶- ترتيب السور

اشارة

۶- ترتيب السور أما عن ترتيب السور، فمن السلف من يقول إنه توقيفى، و يستدل على ذلك بورود الحواميم مرتّبة ولاء، و كذا الطواسين، على حين لم ترتب المسبحات ولاء، بل جاءت مفصولا بين سورها، و فصل بين طسم الشعراء، و طسم القصص، بطس، مع أنها أقصر منها، و لو كان الترتيب اجتهادا لذكرت المسبحات ولاء، و أخرت طس عن القصص. كما يجعلون فيما نقله «الشهرستانى محمد بن عبد الكريم» فى تفسيره «مفاتيح الأسرار و مصابيح الأبرار» عند الكلام على قوله تعالى وَ لَقَدْ آتَيْناكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثانِي «۱»: هى السبع الطوال: البقرة، و آل عمران، و النساء، و المائدة، و الأنعام، و الأعراف، و يونس؛ دليلا على أن هذا الترتيب كان بتوقيف من النبى. و الذين يقولون إن ترتيب السور اجتهادى، يستدلون على ذلك بورود السور مختلفة الترتيب فى المصاحف الأربعة التى أثرت عن أربعة من كبار الصحابة، هم: على بن أبى طالب، و أبى بن كعب، و عبد اللّه ابن مسعود، و عبد اللّه بن عباس. أما عن مصحف «على» فيعزى إليه أنه رأى من الناس طيرة عند وفاة النبى، صلى اللّه عليه و سلم، فأقسم ألّا يضع عن ظهره رداءه حتى يجمع القرآن، فجلس فى بيته ثلاثة أيام حتى جمع القرآن، فكان أول مصحف جمع فيه القرآن من قلبه.

(_____ ۱) الحجر: ۸۷. تـــاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۸۵ و يروى ابن النـديم فى كتابه «الفهرست» أن هذا المصـحف كان عند أهل جعفر، و يقول: «و رأيت أنا فى زماننـا عنـد أبى يعلى حمزة الحسـنى- رحمه اللّه- مصـحفا قـد سـقطت منه أوراق بخـط على بن أبى طالب، يتوارثه بنو حسن على مر الزمان. و هذا ترتيب السور من ذلك المصـحف» «۱». غير أن كتاب «الفهرست» فى طبعتيه الأوربية و المصـرية يسـقط منه ما بعد هذا، فلا يورد ترتيب السور الـذى أشار إليه. و نجد اليعقوبى أحمد بن أبى يعقوب، و هو من رجال القرن الثالث الهجرى، يطالعنا بما سـقط من الفهرست فى الجزء الثـانى من تـاريخه (۱۵۲- ۱۵۴) طبعة «بريل» سـنة ۱۸۸۳ م. فيقول قبـل أن يسوق الترتيب: و روى بعضـهم أن على بن أبى طـالب عليه السـلام كـان جمعه- يعنى القرآن- لمـا قبض رسول اللّه، صـلى اللّه عليه و سـلم، و أتى به يحمله على جمل، فقـال: هـذا القرآن جمعتـه، و كـان قـد جزأه سـبعة أجزاء: جزء البقرة، جزء آل عمران، جزء النسـاء، جزء المائـدة، جزء الأنعـام، جزء الأعراف، جزء الأنفال، و ذلك باعتبار أول كل جزء. و يروى غير واحد أن مصحف «على» كان على ترتيب النزول، و تقديم المنسوخ على الناسخ «۲». و أما عن مصـحف «أبى» فيقول ابن النديم: قال الفضل بن شاذان: أخبرنا الثقة من أصحابنا قال: كان تأليف السور فى قراءة أبى بـــن كعـــب (_____ ۱) الفهرست (۴۱- ۴۲) المطبعة الرحمانية. (۲) تاريخ القرآن للزنجانى (ص: ۲۶). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۸۶ بالبصرة فى قرية يقال لها: قرية الأنصار، على رأس فرسخين، عنـد محمـد بن عبـد الملك الأنصارى، أخرج إلينا مصـحفا و قال: هو مصـحف «أبى» رويناه عن آبائنا. فنظرت فيه فاستخرجت أوائل السور و خواتيم الرسل و عدد الآى «۱». ثم مضى يذكر السور مرتبة كما جاءت فى هذا المصحف. و أما عن مصـحف عبد اللّه بن مسـعود، فينقل ابن النديم عن الفضل ابن شاذان أيضا، فيقول: قال: وجدت فى مصـحف عبد اللّه بن مسـعود تأليف سور القرآن على هذا الترتيب «۲». ثم يسوق ابن النديم هذا الترتيب. ثم يقول ابن النديم: قال أبو شاذان: قال ابن سيرين: و كان عبـد اللّه بن مسـعود لا يكتب المعوذتين فى مصـحفه و لا فاتحـة الكتاب. ثم يقول ابن النـديم: رأيت عـدة مصاحف ذكر نساخها أنها مصـحف ابن مسـعود، ليس فيها مصـحفان متفقان، و أكثرها فى رق كثير النسخ. و قد رأيت مصـحفا قد كتب منذ نحو مائتى سـنة فيه فاتحة الكتاب. و أما عن مصحف عبد اللّه بن عباس (۶۸ ه)، و كان رأس المفسرين، فقد ذكر الشهرستانى محمد بن عبد الكريم (۵۴۸ ه) هـــذا الـــترتيب فى مقدمـــة تفســـيره «مفاتيـــح الأســـرار و مصابيـــح الأبـــرار». (_____ ۱) تاريخ القرآن للزنجانى (ص: ۲۶).

(۲) الفهرست (۲۹- ۴۰). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۸۷

و هاك جدولا يجمع الترتيب فى هذه المصاحف الأربعة:

الجزء الأول

الجزء الأول مصـحف على/ مصـحف أبى/ مصحف ابن مسعود/ مصحف ابن عباس ۱- البقرة/ فاتحـة الكتاب/ البقرة/ اقرأ ۲- يوسف/ البقرة/ النساء/ ن ۳- العنكبوت/ النساء/ آل عمران/ و الضحى ۴- الروم/ آل عمران/ المص/ المزمل ۵- لقمان/ الأنعام/ الأنعام/ المدثر ۶- حم السجدة/ الأعراف/ المائدة/ الفاتحة ۷- الذاريات/ المائدة/ يونس/ تبت ۸- هل أتى على الإنسان/ الأنفال/ براءة/ كورت ۹- الم تنزيـل/ التوبـة/ النحل/ الأعلى ۱۰- السـجدة/ هـود/ هود/ و الليـل ۱۱- النازعـات/ مريـم/ يوسـف/ و الفجر ۱۲- إذا الشـمس كورت/ الشعراء/ بنى إسرائيل/ أ لم نشرح ۱۳- إذا السماء انفطرت/ الحج/ الأنبياء/ الرحمن ۱۴- إذا السماء انشقت/ يوسف/ المؤمنون/ و العصر ۱۵- سبح اسم ربك الأعلى/ الكهف/ الشعراء/ الكوثر ۱۶- لم يكن/ النحل/ الصافات/ التكاثر تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۸۸

الجزء الثانى

الجزء الثانی مصحف علی/ مصحف أبی/ مصحف ابن مسعود/ مصحف ابن عباس ۱۷- آل عمران/ الأحزاب/ الأحزاب/ الدین ۱۸- هود/ بنی إسرائیل/ القصص/ الفیل ۱۹- الحج/ الزمر/ النور/ الکافرون ۲۰- الحجر/ حم تنزیل/ الأنفال/ الإخلاص ۲۱- الأحزاب/ طه/ مریم/ النحل ۲۲- الدخان/ الأنبیاء/ العنکبوت/ الأعمی ۲۳- الحاقة/ النور/ الروم/ القدر ۲۴- سأل سائل/ المؤمنون/ یس/ و الشمس ۲۵- عبس و تولی/ حم المؤمن/ الفرقان/ البروج ۲۶- و الشمس و ضحاها/ الرعد/ الحج/ التین ۲۷- إنا أنزلناه/ طسم/ الرعد/ قریش ۲۸- إذا زلزلت/ القصص/ سبأ/ القارعة ۲۹- ویل لکل همزة/ طس/ الملائکة/ القیامة ۳۰- أ لم تر کیف/ سلیمان/ إبراهیم/ الهمزة ۳۱- لإیلاف قریش/ الصافات/ ص/ و المرسلات تاریخ القرآن(للأبیاری)، ص: ۸۹

الجزء الثالث

الجزء الثالث مصحف علی/ مصحف أبی/ مصحف ابن مسعود/ مصحف ابن عباس ۳۲- النساء/ داود/ الذین کفروا/ ق ۳۳- النحل/ ص/ القمر/ البلد ۳۴- المؤمنون/ یس/ الزمر/ الطارق ۳۵- یس/ أصحاب الحجر/ الحوامیم/ القمر ۳۶- حمعسق/ حم عسق/ حم المؤمن/ ص ۳۷- الواقعة/ الروم/ حم الزخرف/ الأعراف ۳۸- تبارک الملک/ الزخرف/ السجدة/ الجن ۳۹- یأیها المدثر/ حم السجدة/ الأحقاف/ یس ۴۰- أ رأیت/ إبراهیم/ الجاثیة/ الفرقان ۴۱- تبت/ الملائکة/ الدخان/ الملائکة ۴۲- قل هو اللّه أحد/ الفتح/ إنا فتحنا/ مریم ۴۳- و العصر/ محمد/ الحدید/ طه ۴۴- القارعة/ الحدید/ سبح/ الشعراء ۴۵- و السماء ذات البروج/ الظهار/ الحشر/ النمل ۴۶- و التین و الزیتون/ تبارک/ تنزیل/ القصص ۴۷- طس/ الفرقان/ السجدة/ بنی إسرائیل تاریخ القرآن(للأبیاری)، ص: ۹۰

الجزء الرابع

الجزء الرابع مصحف علی/ مصحف أبی/ مصحف ابن مسعود/ مصحف ابن عباس ۴۸- النمل/ الم تنزیل/ ق/ یونس ۴۹- المائدة/ نوح/ الطلاق/ هود ۵۰- یونس/ الأحقاف/ الحجرات/ یوسف ۵۱- مریم/ ق/ تبارک الذی بیده الملک/ الحجر ۵۲- طسم/ الرحمن/ التغابن/ الأنعام ۵۳- الشعراء/ الواقعة/ المنافقون/ الصافات ۵۴- الزخرف/ الجن/ الجمعة/ لقمان ۵۵- الحجرات/ النجم/ الحواریون/ سبأ ۵۶- ق/ ن/ قل أوحی/ الزمر ۵۷- اقتربت الساعة/ الحاقة/ إنا أرسلنا نوحا/ المؤمن ۵۸- الممتحنة/ الحشر/ المجادلة/ حم السجدة ۵۹- و السماء و الطارق/ الممتحنة/ الممتحنة/ حم عسق ۶۰- لا أقسم بهذا البلد/ المرسلات/ یأیها النبی لم تحرم/ الزخرف ۶۱- أ لم نشرح لک/ عم یتساءلون/ الرحمن/ الدخان ۶۲- و العادیات/ الإنسان/ النجم/ الجاثیة ۶۳- إنا أعطیناک الکوثر/ لا أقسم/ الذاریات/ الأحقاف ۶۴- قل یأیها الکافرون/ کورت/ الطور «۱» الذاریات (_____۱) و فی روایة أخری: الطور قبل الذاریات. (ابن الندیم). تاریخ القرآن(للأبیاری)، ص: ۹۱

الجزء الخامس

الجزء الخامس مصحف علی/ مصحف أبی/ مصحف ابن مسعود/ مصحف ابن عباس ۶۵- الأنعام/ النازعات/ اقتربت الساعة/ الغاشیة ۶۶- سبحان/ عبس/ الحاقة/ الکهف ۶۷- اقتربت/ المطففون/ إذا وقعت/ النحل ۶۸- الفرقان/ إذا السماء انشقت/ ن و القلم/ نوح ۶۹- موسی/ التین/ النازعات/ إبراهیم ۷۰- فرعون/ اقرأ باسم ربک/ سأل سائل/ الأنبیاء ۷۱- حم/ الحجرات/ المدثر/ المؤمنون ۷۲- المؤمن/ المنافقون/ المزمل/ الرعد ۷۳- المجادلة/ الجمعة/ المطففین/ الطور ۷۴- الحشر/ النبی/ عبس/ الملک ۷۵- الجمعة/ الفجر/ الدهر/

الحاقة ۷۶- المنافقون/ الملک/ القيامة/ المعارج ۷۷- ن و القلم/ و اللیل إذا یغشی/ المرسلات/ النساء ۷۸- إنا أرسلنا نوحا/ إذا السماء انفطرت/ عم یتساءلون/ و النازعات ۷۹- قل أوحی إلی/ الشمس و ضحاها/ التکویر/ انفطرت ۸۰- المرسلات/ و السماء ذات البروج/ الانفطار/ انشقت ۸۱- و الضحی/ الطارق/ هل أتاک حدیث الغاشیة/ الروم ۸۲- ألهاکم/ سبح اسم ربک الأعلی/ سبح اسم ربک الأعلی/ العنکبوت تاریخ القرآن(للأبیاری)، ص: ۹۲

الجزء السادس

الجزء السادس مصحف علی/ مصحف أبی/ مصحف ابن مسعود/ مصحف ابن عباس ۸۳- الأعراف/ الغاشیة/ و اللیل إذا یغشی/ المطففون ۸۴- إبراهیم/ عبس/ الفجر/ البقرة ۸۵- الکهف/ الصف/ البروج/ الأنفال ۸۶- النور/ الضحی/ انشقت/ آل عمران ۸۷- ص/ أ لم نشرح/ اقرأ باسم ربک/ الحشر ۸۸- الزمر/ القارعة/ لا أقسم بهذا البلد/ الأحزاب ۸۹- الشریعة/ التکاثر/ و الضحی/ النور ۹۰- الذین کفروا/ الخلع/ أ لم نشرح/ الممتحنة ۹۱- الحدید/ الجید/ و السماء و الطارق/ الفتح ۹۲- لا أقسم بیوم القیامة/ اللهم إیاک نعبد/ و العادیات/ النساء ۹۳- عم یتساءلون/ إذا زلزلت/ أ رأیت/ إذا زلزلت ۹۴- الغاشیة/ العادیات/ القارعة/ الحج ۹۵- و الفجر/ أصحاب الفیل/ لم یکن الذین کفروا/ الحدید ۹۶- و اللیل إذا یغشی/ التین/ الشمس و ضحاها/ محمد ۹۷- إذا جاء نصر اللّه/ الکوثر/ التین/ الإنسان تاریخ القرآن(للأبیاری)، ص: ۹۳

الجزء السابع

الجزء السابع مصحف علی/ مصحف أبی/ مصحف ابن مسعود/ مصحف ابن عباس ۹۸- الأنفال/ القدر/ ویل لکل همزة/ الطلاق ۹۹- براءة/ الکافرون/ الفیل/ لم یکن ۱۰۰- طه/ النصر/ لإیلاف قریش/ الجمعة ۱۰۱- الملائکة/ أبی لهب/ التکاثر/ الم السجدة ۱۰۲- الصافات/ قریش/ إنا أنزلناه/ المنافقون ۱۰۳- الأحقاف/ الصمد/ و العصر/ المجادلة ۱۰۴- الفتح/ الفلق/ إذا جاء نصر اللّه/ الحجرات ۱۰۵- الطور/ الناس/ الکوثر/ التحریم ۱۰۶- النجم// الکافرون/ التغابن ۱۰۷- الصف// المسد/ الصف ۱۰۸- التغابن// قل هو اللّه أحد/ المائدة ۱۰۹- الطلاق/// التوبة ۱۱۰- المطففون/// النصر ۱۱۱- المعوذتین/// الواقعة ۱۱۲-/// و العادیات ۱۱۳-/// الفلق ۱۱۴-/// الناس تاریخ القرآن(للأبیاری)، ص: ۹۴ و یقسمون سور القرآن الکریم أربعة أقسام: ۱- الطّول، جمع: طولی، و هی سبع: البقرة، و آل عمران، و النساء، و المائدة، و الأنعام، و الأعراف، و یونس. ۲- المئون، و هی ما ولی السبع الطّوال، سمیت بذلک لأن کل سورة منها تزید علی مائة آیة أو تقاربها. ۳- المثانی، و هی ما ولی المئین، و قد تسمی سور القرآن کلها مثانی، و منه قوله تعالی کِتاباً مُتَشابِهاً مَثانِیَ «۱»، و إنما سمی القرآن مثانی لأن الأنباء و القصص تثنی فیه. ۴- المفصل، و هو ما یلی المثانی من قصار السور، و سمی مفصلا لکثرة الفصول التی بین السور ببسم اللّه الرحمن الرحیم، و قیل لقلة المنسخ فیه.

(_____ ۱) الزمر: ۲۳. تاریخ القرآن(للأبیاری)، ص: ۹۵

۷- الجمّاع للقرآن

۷- الجمّاع للقرآن و الجمّاع للقرآن علی عهد النبی، صلی اللّه علیه و سلم: علیّ بن أبی طالب. سعد بن عبید بن النعمان بن عمرو بن زید. أبو الدرداء عویمر بن زید. معاذ بن جبل بن أوس. أبو زید ثابت بن زید بن النعمان. أبیّ بن کعب بن قیس بن مالک بن امرئ القیس. عبید بن معاویة بن زید بن ثابت بن الضحّاک «۱».

(_____ ۱) الفهرست لابن النديم (ص: ۴۱)

المطبعة الرحمانية. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۹۶

۸- الحكمة فى نزول القرآن منجّما

۸- الحكمة فى نزول القرآن منجّما و فيما بين السابع عشر من رمضان- من السنة الحادية و الأربعين من ميلاد الرسول، و كان بدء نزول الوحى، و إلى ما قبل موته، صلى اللّه عليه و سلم بأيام لا تجاوز الواحد و الثمانين و لا تنقص عن العشرة، و كان آخر ما نزل من الوحى، أى فى نحو من إحدى و عشرين سنة، أو على الأصح فى نحو من ثمانى عشرة سنة، بإسقاط المدة التى فتر فيها الوحى و التى بلغت ثلاث سنين- نزل هذا القرآن منجّما، يشرع للناس، و يتابع الأحداث، و يجيب و يبيّن، وَ لا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْناكَ بِالْحَقِّ وَ أَحْسَنَ تَفْسِيراً «۱»، وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا «۲». و ما كانت حكمة السماء تقضى إلا بهذا مع أمّة يراد لها أولا التحول من عقائد إلى عقيدة، و الخروج من وثنية إلى دين، و من أوهام و ظنون إلى منطق و حق، و من لا إيمان إلى إيمان. تلك خطوة أولى كان من الحكمة أن تبدأ بها الدعوة و تفرغ لها، حتى إذا ما ضمّت الناس على الطريق أخذتهم بما تحمى إيمانهم به، فحاطتهم بعبادات، و ألزمتهم بواجبات، و الناس لا يمضون فيما جدّ عليهم خرسا لا ينطقون، و عميا لا ينظرون، و غفلا لا يتدبّرون، فهم مع هذا كله (_____ ۱) الفرقان: ۳۳. (۲) الإسراء: ۱۰۶. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۹۷ سائلون يتبيّنون، و الوحى يتابعهم فى كل ما عنه يستفسرون، إذ به تمام الرسالة. ثم إن هذه الدعوة السماوية بدأت جهادا و عاشت جهادا، أملته الأيام، و تمخّضت عنه الأعوام، و هو و إن كان فى علم السماء قبل أن يقع، لكنه كان على علم الناس جديدا لم يقع، و كان لا بدّ أن يلقنوه مع زمانه و أوانه. ثم ما أكثر ما أخذ الناس و أعطوا فى ظل الدعوة لتثبت أركانها فى نفوسهم، و هذا- و إن كان فى علم السماء قبل أن يقع- لكنه كان على حياة الناس جديدا لم يقع، و كان لا بدّ أن يلقنوا بيانه مع زمانه و أوانه. و هكذا لم تكن الرسالة كلمة ساعتها، و إنما كانت كلمات أعوام ثمانية عشر، و كانت هذه الكلمات كلها فى علم السماء، و فى اللّوح المحفوظ، و لكنها نزلت إلى علم الناس مع زمانها و أوانها. لهذا نزل القرآن منجّما؛ و لقد خال المشركون أن دعوة الرسول إليهم كلمة، و أن صفحته معهم صفحة، وفاتهم أن الدعوة معها خطوات، و أن هذه الخطوات معها جديد، على علمهم لا على علم السماء، و ما أحوجهم مع كل جديد إلى مزيد، و من أجل هذا الذى فاتهم استنكروا أن ينزل القرآن منجما و قالوا: لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً «۱»، و كان جواب السماء عليهم كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا «۲»، أى: (_____ ۱) الفرقان: ۳۲. (۲) الفرقان: ۳۲. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۹۸ جعلناه بعضه فى إثر بعض، منه ما نزل ابتداء، و منه ما نزل فى عقب واقعة أو سؤال، ليكون فى تتابعه مع الأحداث و ما تثيره من شكوك، ما يرد النفوس إلى طمأنينة، و الأفئدة إلى ثبات: و إنك لو تتبعت أسباب النّزول فى القرآن، و مواقع الآيات، لتبيّنت أن رسالة الرسول لم تكن جملة واحدة، ليكون القرآن جملة واحدة، بل كانت أحداثا متلاحقة تقتضى كلمات متلاحقة. فلقد نزلت آية الظّهار فى سلمة بن صخر، و نزلت آية اللّعان فى شأن هلال بن أمية، و نزلت آية حد القذف فى رماة عائشة، و نزلت آية القبلة بعد الهجرة، و بعد أن استقبل المسلمون بيت المقدس بضعة عشر شهرا، و نزلت آية اتخاذ مقام إبراهيم مصلّى حين سأل عمر الرسول فى ذلك؛ كذلك كانت الحال فى الحجاب، و أسرى بدر، و غير ذلك كثير، فكان القرآن ينزل بحسب الحاجة خمس آيات، و عشر آيات، و أكثر و أقل، و قد صح نزول عشر آيات فى قصة الإفك جملة، كما صح نزول عشر آيات من أول «المؤمنين» جملة، و صح نزول غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ «۱» وحدها، و هى بعض آية، و كذا وَ إِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً «۲»، إلى آخر الآية، و هى بعض آية، نزلت بعد نزول أول الآية (_____ ۱) النساء: ۹۴. (۲) التوبة: ۲۹. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۹۹

۹- الوحى و نزول القرآن على سبعة أحرف

۹- الوحى و نزول القرآن على سبعة أحرف و هذا الوحى ألهم الرسول معناه، كما ألهم لفظه، فهو بمعناه و لفظه من صنع السماء، و الرسول ناطق بلسان السماء، يملى على قومه ما أملته السماء، يصوّر ما تصوّر فى وعيه، و ينطق بما أنطقته السماء، تفيض عليه السماء فإذا هو قد خلص لهذا الفيض بكلياته، و إذا هو إشعاع لهذا الفيض يصدر عنه و يشكّل جرسه، فإذا ما انفصل عنه هذا الفيض عاد يصدر عن نفسه، يطوع له نطقه. و لسان الرسول عربى، و لهذا جرى القرآن على لسانه عربيّا، و إذا كان القرآن لسان السماء جرى على لسان الرسول مبينا، إلى جريانه عربيّا، يمثل أعلى ما ينتظمه اللسان العربى من لغات، و أحوى ما يجمع من لهجات، و كانت لغة مضر أعلى ما يجرى على لسان قريش و أحواه، فنزل بها القرآن، و فى هذا يقول عمر: نزل القرآن بلغة مضر. و كانت لغة مضر هذه تنتظم لغات سبعا لقبائل سبع، هم: هذيل، و كنانة، و قيس، و ضبّة، و تيم الرّباب، و أسد بن خزيمة، و قريش. و لقد مثّل القرآن هذه اللغات السبع كلها مفرقة، لكل لغة منه نصيب. و هو أولى الأقوال بتفسير الحديث «نزل القرآن على سبعة أحرف». تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۰۰

۱۰- اسم كتاب اللّه

۱۰- اسم كتاب اللّه و لقد سمّى اللّه ما أنزله على رسوله: قرآنا، و كتابا، و كلاما، و فرقانا، و ذكرا، و قولا. و قد أنهاها بعضهم إلى نيف و تسعين اسما، و جعلها بعضهم خمسة و خمسين اسما، و أكثر ما ذكروه يعد من قبيل الصفات، من ذلك. الهادى، و المتشابه. و كان أكثر هذه الأسماء دورانا هو لفظ القرآن، فقد جاء فى نحو من سبعين آية، و كان فى كلها صريحا فى اسميته و مدلوله الخاص. من أجل ذلك كتبت لهذا اللفظ الغلبة على غيره، و كان هذا الاسم الغالب لكتاب اللّه الذى جاء به محمد، و حفظه عنه المسلمون. و يؤثر عن الشافعى أنه قال: القرآن، اسم على غير مشتق، خاص بكلام اللّه، فهو غير مهموز، لم يؤخذ من قراءة، و لكنه اسم لكتاب اللّه، مثل: التوراة، و الإنجيل. و يقول الزجاج: إن ترك الهمز فيه من باب التخفيف و نقل حركة الهمز إلى الساكن الصحيح قبلها. و القائلون بالهمز مختلفون، و أوجه ما فى خلافهم رأيان: أولهما: أنه مصدر لقرأت، مثل: الرجحان، و الغفران، سمى به الكتاب المقروء، من باب تسمية المفعول بالمصدر. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۰۱ و الرأى الثانى: أنه وصف على: فعلان، مشتق من القرء، بمعنى الجمع. و أما تسميته بالمصحف، فكانت تسمية متأخرة، جاءت بعد جمع القرآن و كتابته، و كانت من وضع الناس. فإنهم يحكمون أن عثمان، حين كتب المصحف، التمس له اسما فانتهى الناس إلى هذا الاسم. غير أن هذا يكاد يكون مردودا، فلقد سبق أن علمت أن ثمة مصاحف كانت موجودة قبل جمع عثمان، هى: مصحف على، و مصحف أبىّ، و مصحف ابن مسعود، و مصحف ابن عباس. و المصحف: هو الجامع للمصحف المكتوبة بين الدّفتين. و يقال فيه: مصحف، و مصحف، بضم الميم و كسرها، مع فتح الحاء، و الضمة هى الأصل، و الكسرة لاستثقال الضمة، فمن ضم جاء به على أصله، و من كسر فلاستثقال الضمة. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۰۲

۱۱- جمع القرآن

۱۱- جمع القرآن و لقد مات رسول اللّه و القرآن كله مكتوب على العسب- جريد النخل- و اللّخاف- صفائح الحجارة- و الرّقاع، و الأديم، و الأكتاف- عظام الأكتاف- و الأقتاب- ما يوضع على ظهور الإبل- كما كان محفوظا فى صدور الرجال يحفظه حفظة من المسلمين. و قبل أن يقبض اللّه رسوله إليه عارض الرسول ما أنزله عليه ربّه بسوره و آياته على ما حفظه عنه حفظة المسلمين، فكان ما فى صدور الحفظة صورة مما كان فى صدر الرسول. و كان لا بدّ لهذا المكتوب على الرّقاع و غيرها من أن يعارض على المحفوظ فى الصدور، ليخرج من بينهما كتاب اللّه فى صورة مقروءة. كى يفيد منه الناس جميعا على تعاقب الأزمان، فما تغنى الرقاع، ثم هى عرضة

بلى، و تشتّت؛ و ما يغنى الحفظة، و هم إلى فناء، و الناقلون عنهم ليس لهم ميزة المعاصرة. و يحرّك اللّه المسلمين لهذه الحسنة حين استحرّ القتل يوم اليمامة بقرّاء القرآن، فيخفّ عمر بن الخطاب إلى أبى بكر، و كان عندها خليفة، و كان الذى استخف عمر إلى أبى بكر فزعه من أن يتخطّف الموت القرّاء فى مواطن أخرى، كما تخطفهم فى ذاك الموطن- أعنى اليمامة- فيضيع على المسلمين جمّاع دينهم، و يعزّ عليهم كتابهم. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۰۳ و حين جلس عمر إلى أبى بكر أخذ يناقشه فيما أتى إليه من جمع القرآن، بعد أن بسط السبب الحافز؛ و تلبث أبو بكر يراجع نفسه، ثم أرسل إلى زيد بن ثابت، و كان من كتّاب الوحى، كما مرّ بك، و حضر زيد مجلس أبى بكر و عمر، و سمع منهما ما هما فيه، فإذا هو معهما فى الرّأى، و إذا أبو بكر حين يجد من زيد حسن الاستجابة يتجه إليه يقول: إنك شاب عاقل لا نتّهمك، و قد كنت تكتب الوحى لرسول اللّه، فتتبع القرآن اجمعه. و مضى زيد يتتبع القرآن يجمعه و يكتبه، و كان زيد حافظا، فيسّر عليه حفظه عبأه شيئا، و لكنه كان إلى هذا لا يقنع فى إثبات الآية يختلف فيها إلا بشهادة. و اجتمعت هذه الصحف فى بيت أبى بكر حياته، ثم فى بيت عمر حياته. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۰۴

۱۲- مصحف عثمان

۱۲- مصحف عثمان و كما حرّكت محنة اليمامة عمر إلى حسنة، حركت محنة أخرى- بعد مقتل عمر- عثمان إلى حسنة، فقد قدم حذيفة بن اليمان من حرب أرمينية و أذربيجان على عثمان فزعا من اختلاف المسلمين فى قراءة القرآن، يقول لعثمان: أدرك الأمة قبل أن يختلفوا. و كما استجاب أبو بكر إلى عمر استجاب عثمان إلى حذيفة، فأرسل عثمان يطلب الصّحف من عند حفصة بنت عمر، و زوج النبى. و أرسلت حفصة بالصّحف إلى عثمان، و جمع عثمان إليه زيد بن ثابت، و عبد اللّه ابن الزبير، و سعيد بن العاص، و عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، و كلهم من كتّاب الوحى، و أمرهم بنسخ هذه الصحف. فكتبوا منها سبع مصاحف. ثم ردّ عثمان الصحف «۱» إلى حفصة، فلم تزل عندها حتى أرسل مروان بن الحكم بن أبى العاصى فأخذها فحرقها، كما ذكر أبو بكر السّجستانى «۲». و يقول أبو بكر السجستانى فى مكان آخر بسند متصل، عن سالم ابن عبد اللّه: إن مروان كان يرسل إلى حفصة يسألها الصحف التى كتب فيها القرآن، فتأبى حفصة أن تعطيه إياها. قال سالم: فلما

(_____۱) و يقال إنه نسخ من المصحف أربعة مصاحف أرسلها إلى البصرة و الكوفة و الشام و احتفظ بالرابع فى المدينة. (۲) المصاحف للسجستانى (ص: ۱۰). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۰۵ توفيت حفصة و رجعنا من دفنها أرسل مروان بالعزيمة إلى عبد اللّه بن عمر: ليرسلن إليه بتلك الصحف. فأرسل بها إليه عبد اللّه بن عمر، فأمر بها مروان فشققت. فقال مروان: إنما فعلت هذا لأن ما فيها قد كتب و حفظ بالمصحف فخشيت إن طال بالناس زمان أن يرتاب فى شأن هذه الصحف مرتاب. أو يقول إنه قد كان شىء منها لم يكتب «۱». و لا ندرى إلى أى حد كان توفيق مروان فيما فعل، و لكنه، و هو الرجل الذى كان معاصرا لما وقع، كان عليه أن يطمئن إلى أن الأمر قد تم على أحسن ما يكون دقة و ضبطا؛ و ما نظنه غاب عنه كيف احتاط عثمان لذلك، و ما نظنه إلا كان شاهد عثمان و هو يخطب الناس يناشدهم أن يأتوه بما معهم من كتاب اللّه، و كان عهدهم بالنبى قريبا، إذ لم يكن مضى على وفاته أكثر من ثلاث عشرة سنة. و ما نظن الناس إلا قد وفوا لعثمان، و جاءه كل رجل بما كان عنده، فلقد كان الرجل يأتيه بالورقة و الأديم فيه القرآن. و لقد جمع من ذلك عثمان الشىء الكثير. و ما وقف عثمان عند هذه، بل لقد دعاهم رجلا رجلا فيناشده: لسمعت رسول اللّه، صلى اللّه عليه و سلم، و هو أملاه عليك؟ فيقول الرجل: نعم. حتى إذا فرغ من ذلك قال: من أكتب الناس؟ فقال الناس: كاتب رسول اللّه زيد بن ثابت، قال عثمان: فأى الناس أعرب؟ قالوا: سعيد بن العاص- و كان سعيد أشبههم لهجة برسول اللّه- قال عثمان: فليمل سعيد و ليكتب زيد.

(_____۱) المصاحف (۲۴ - ۲۵). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۰۶ هذا كله فعله عثمان، و فعل إلى جانبه الاستئناس بالصحف التى تمّ جمعها فى عهد أبى بكر، و شارك

فيها عمر، و التى كانت عند حفصة. تلك الصحف التى مثّلت المصحف الأول المعتمد. من أجل هذا لم يختلف زيد و سعيد فى شىء، و وجدا ما اجتمع لهما من قبل على يد أبى بكر و عمر هو هو الذى جمعه عثمان ثانية و استحلف الناس عليه. و يحكى المؤرخون أن زيدا و سعيدا لم يختلفا إلا فى حرف واحد فى سورة البقرة، فقال أحدهما «التابوت» و قال الآخر «التابوة» و اختيرت قراءة زيد بن ثابت، لأنه كان كاتب الوحى. و أرسل عثمان ستّا من هذه المصاحف إلى مكة و الشام و اليمن و البحرين و البصرة و الكوفة، و حبس مصحفا بالمدينة، و أمر عثمان فحرق ما كان مخالفا لمصحفه. و قد مرّ بك أن على بن أبى طالب كان له مصحف باسمه، أعنى كان إليه جمعه، و أنه بعد موت النبى كان قد أقسم ألا يرتدى برداء إلا لجمعة حتى يجمع القرآن فى مصحف، ففعل. و ينقل أبو بكر السّجستانى «۱» بسند متصل عن أشعث، عن ابن سيرين، أنه حين تخلّف عن بيعة أبى بكر أرسل إليه أبو بكر يقول له: أكرهت إمارتى يا أبا الحسن؟ فقال علىّ: لا و اللّه، إنى أقسمت ألا أرتدى برداء إلا لجمعة. فبايعه ثم رجع.

(_____ ۱) المصاحف (ص: ۱۰). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۰۷ ثم يقول السجستانى: لم يذكر «المصحف» أحد إلا أشعث، و هو لين الحديث. و إنما: حتى أجمع القرآن، يعنى أتمّ حفظه. غير أن ابن النديم- فيما نقلت إليك عنه قبل- يذكر أنه رأى عند أبى يعلى حمزة الحسنىّ مصحفا سقطت منه أوراق بخط على بن أبى طالب، يتوارثه بنو الحسن، ثم أورد ترتيب السور فيه، و قد نقلناها لك فيما سبق. و لقد كان إلى مصحف علىّ مصاحف أخرى مرّت بك، هى مصحف أبىّ، و مصحف ابن مسعود، و مصحف ابن عباس، و كان ثمة مصاحف أخرى هى: مصحف موسى الأشعرى، و مصحف للمقداد بن الأسود، و مصحف لسالم مولى أبى حذيفة. و لقد كانت هذه المصاحف موزّعة فى الأمصار، فكان أهل الكوفة على مصحف ابن مسعود، و أهل البصرة على مصحف أبى موسى الأشعرى، و أهل دمشق على مصحف المقداد بن الأسود، و أهل الشام على مصحف أبىّ بن كعب. و كان ثمة خلاف بين هذه المصاحف، و هذا الخلاف هو الذى شهد به حذيفة حين كان مع الجيش فى فتح أذربيجان. و هذا الخلاف هو الذى فزع من أجله عثمان فنهض يجمع أصول القرآن، و يجمع إلى هذه الأصول الحفظة الموثوق بهم. فنحن الآن بين مراحل ثلاث مرّ بها تدوين المصحف: أولى هذه المراحل تلك التى كانت فى حياة النبى، صلى اللّه عليه و سلم، تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۰۸ فلقد كان من حوله كتّابه يكتبون ما يملى عليهم، و كان الرسول حريصا على ألا يكتب عنه غير القرآن، حتى لا يلتبس به شىء آخر. و يروون عنه، صلى اللّه عليه و سلم، أنه قال: لا تكتبوا عنى شيئا سوى القرآن، فمن كتب عنى شيئا سوى القرآن فليمحه. و لم يترك رسول اللّه دنياه إلى آخرته إلا بعد أن عارض ما فى صدره على ما فى صدور الحفظة الذين كانوا كثرة، و حسبك ما يقال عن كثرتهم أنه فى غزوة بئر معونة قتل منهم- أى من القرّاء- سبعون، ثم حسبك عن كثرتهم أنه كانت منهم سيدة، هى أم ورقة بنت عبد اللّه بن الحارث، و كان رسول اللّه يزورها و يسميها الشهيدة، و كانت قد جمعت القرآن، و قد أمرها رسول اللّه أن تؤمّ أهل دارها «۱». ثم حسبك دليلا على أن القرآن كتب فى حياة الرسول، و أنه كتب فى صحة و ضبط، ما رواه البراء مع نزول قوله تعالى: لا يَسْتَوِى الْقاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ «۲»: قال الرسول: ادع لى زيدا، و ليجئ باللوح و الدواة و الكتف، ثم قال: اكتب «لا يستوى»، أى إن الرسول كان يملى على كاتبه لساعته. ثم لعلك تذكر فى إسلام عمر أن رجلا من قريش قال له: أختك قد صبأت- أى خرجت عن دينك- فرجع إلى أخته و دخل عليها بيتها، و لطمها لطمة شجّ بها وجهها، فلما سكت عنه الغضب نظر فإذا صحيفة فى ناحية البيت فيها بسم اللّه الرحمن الرحيم.

(_____ ۱) الطبقات الكبرى، لابن سعد. (۲) النساء: ۹۴. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۰۹ سَبَّحَ لِلَّهِ ما فِى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ «۱». و اطلع على صحيفة أخرى فوجد فيها بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ. طه ما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ «۲» فأسلم بعد ما وجد نفسه بين يدى كلام معجز ليس من قول بشر. فهذه و تلك تدلانك على أن الكتّاب كانوا يكتبون بإملاء الرسول، و أن هذا المكتوب كان يتناقله الناس. و الثانية من تلك المراحل ما كان من عمر مع أبى بكر حين استحرّ القتل بالقراء فى اليمامة، و ما انتهى إليه الرأى بين أبى بكر و عمر فى أن يكلا إلى زيد بن

ثابت جمع المصحف، لتكون معارضة بين ما هو مكتوب فى الألواح و بين ما هو محفوظ فى الصدور، قبل أن تأتى المواقع على حفظة القرآن، فما من شك فى أن الاثنين يكمّل أحدهما الآخر، لمن أراد أن يبلغ الكمال و الدقة و الضبط. و ما يمنع من هذا الذى فكّر فيه عمر أن يكون هناك جمع سابق على يد نفر من الصحابة، مثل ما فعل علىّ، و مثل ما فعل ابن مسعود، و مثل ما فعل ابن عباس، و مثل ما فعل غيرهم. و ما كان هذا يغيب عن عمر، و لكن كان ثمة فرق بين ما فكر فيه عمر و ما سبق بعض الصحابة به، فلقد كان الرأى عند عمر أن يبادر فى ظل وجود القراء إلى إيجاد مصحف رسمى يصدر بتكليف من الخليفة، و الخليفة أقوى على حشد الجهود العظيمة لهذا العمل العظيم_____.

(۱) الحديد: ۱. (۲) طه: ۱. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۱۰ و لقد أحس زيد بثقل المهمة التى أرادها عمر، و أرادها معه أبو بكر، فأبو بكر و عمر لم يريدا عملا فرديّا يحمل عبأه فرد واحد، و إنما أرادا عملا جماعيّا تحمل عبأه الخلافة، و باسم الخلافة يصدر. من أجل ذلك قال زيد: فو اللّه لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان بأثقل علىّ مما كان أمرونى به من جمع القرآن. و من أجل ذلك مضى زيد يتحرى، لم يكتف بما فى صدره، و ما بين يديه، بل تلمس آية يفقدها فوجدها عند رجل من الأنصار فدونها، و هى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ «۱». و من أجل ذلك قال أبو بكر لعمر بن الخطاب و لزيد بن ثابت: اقعدا على باب المسجد، فمن جاءكما بشاهدين على شىء من كتاب اللّه فاكتباه. و من أجل ذلك لم يقعد زيد عن السعى ليجد آخر المطاف آخر سورة التوبة مع خزيمة بن ثابت. إذن فلقد كان مصحف أبى بكر و عمر أول مصحف رسمى، جمعه زيد بن ثابت لهما، فى ظل هذا التّحرى الدقيق، الذى كان أبو بكر و عمر من ورائه. غير أن هذا المصحف الرسمى لم يأخذ طريقه الرسمى إلى الأمصار، و لعلّ مقتل عمر هو الذى أخّر ذلك. و المرحلة الثالثة و الأخيرة، هى المرحلة التى تمت على يد عثمان، و كانت تتمّة للمرحلة الرسمية التى بدأت فى عهد أبى بكر، و شاركه فيها عمر_____،

(۱) الأحزاب: ۲۳. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۱۱ فلقد وقع الذى كان يخشاه عمر، و الذى فكّر من أجله فى هذا الجمع الرسمى، و عجل به القتل عن أن يمضى فيه إلى آخره. فلقد مر بك كيف استقلّ كلّ مصر بمصحف، و كانت مصاحف فرديّة، لم يجتمع لها ما اجتمع لمصحف أبى بكر الذى انتهى إلى حفصة، ثم انتهى إلى عثمان، من جهد جماعى مستوعب، و لقد سعى «علىّ» جهده، و سعى «أبىّ» جهده، و سعى «ابن عبّاس» جهده. و لكن هذه الجهود لو تلاقت كما تلاقت حياة أبى بكر و عمر لخضعت لتعديل كثير، و دليلنا على ذلك أنه لما خرج إلى الأمصار مصحف عثمان دان الناس لتحريره قبل أن يدينوا لسلطان الخليفة، و ما يستطيع أحد أن يظن بالمسلمين اللّين و الضعف على أن يقفوا لأقوى الخلفاء يلزمونه رأيهم، إن كانوا يعرفون أنه الحق، و لكن انصياع المسلمين فى الأمصار كلها لمصحف عثمان، و ما كان عثمان بالعنيف، يدلك على أن المصحف العثمانى خرج عن إجماع اطمأنت القلوب إليه. و يروى أبو بكر السجستانى بسند متصل عن «على»، فى المصاحف و حرق عثمان لها: «لو لم يصنعه عثمان لصنعته» «۱». و لقد كان «علىّ» صاحب مصحف اختفى بظهور مصحف عثمان، و لكن هذا لم يمنعه من نصرة الحق الذى جاهد من أجله حياته كلها. و الذى قبله «علىّ» قبله «ابن مسعود»، و لكن بعد لأى، و قبله بعد هذين كثيرون من الصحابة.

(_____۱) المصاحف (ص: ۱۲). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۱۲ يروى أبو بكر السجستانى بسند متصل عن مصعب بن سعد، قال: أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف، فأعجبهم ذلك و لم ينكر ذلك منهم أحد «۱». و ما أجلّ هذه التى فعلها عثمان، و حسبه عنها ما يرويه أبو بكر السجستانى بسند متصل عن عبد الرحمن بن مهدى، يقول: خصلتان لعثمان بن عفان ليستا لأبى بكر و لا لعمر: صبره نفسه حتى قتل مظلوما، و جمعه الناس على المصحف «۱». و حسبك أن تعلم أن الحال فى اختلاف الناس لم تكن أيام عثمان فى الأمصار دون المدينة، بل شملت المدينة أيضا، فلقد كان المعلّمون فيها لكل معلّم قراءته، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون، فكان هذا لعثمان، إلى ما بلغه من حذيفة، مما أفزعه و جعله يقوم بين الناس خطيبا و يقول: أنتم عندى مختلفون فيه فتلحنون، فمن نأى عنى من الأمصار أشد

فيه اختلافا و أشد لحنا، اجتمعوا يا أصحاب محمد و اكتبوا للناس إماما. من أجل هذا سمى مصحف عثمان: الإمام. و قد أرسل عثمان من هذا المصحف نسخا للأمصار- كما مر بك- و أمر بأن يحرق ما عداها. و يحكى ابن فضل اللّه العمرى فى كتابه مسالك الأبصار، و هو يصف مسجد دمشق: «و إلى جانبه الأيسر المصحف العثمانى بخط أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى اللّه عنه» «۳».

(_____ ۱) المصاحف (ص: ۱۸). (۳)

المسالك (۱: ۱۹۵، طبعة دار الكتب المصرية). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۱۳ و معنى هذا أن هذا المصحف كان بدمشق حياة العمرىّ، أى إلى النصف الأول من القرن الثامن الهجرى، فلقد كانت وفاة العمرىّ سنة ۷۴۹ ه. و يرجّح المتصلون بالتراث العربى أن هذا المصحف هو الذى كان فى دار الكتب بمدينة لينجراد، ثم انتقل منها إلى إنجلترا، و لا يزال بها إلى اليوم. و يروى السّفاقسىّ فى كتابه «غيث النفع» «و رأيت فيه- يعنى مصحف عثمان- أثر الدم و هو بالمدرسة الفاضلية بالقاهرة» «۱». و لقد كان فى دار الكتب العلويّة فى النّجف مصحف بالخط الكوفى مكتوب فى آخره: كتبه علىّ بن أبى طالب فى سنة أربعين من الهجرة، و هى السنة التى توفى فيها علىّ (_____ ۱) غيث النفع فى القراءات السبع (ص: ۲۳۰). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۱۴

۱۳- كتب المصاحف

۱۳- كتب المصاحف و لقد كتب نفر من السّلف كتبا عرضوا فيها للمصاحف القديمة التى سبقت مصحف عثمان، و التى جاء مصحف عثمان ملغيا لها، نذكر منها: ۱- اختلاف مصاحف الشام و الحجاز و العراق، لابن عامر، التوفى سنة ۱۱۸ ه. ۲- اختلاف مصاحف أهل المدينة و أهل الكوفة و أهل البصرة، على الكسائى، المتوفى سنة ۱۸۹ ه. ۳- اختلاف أهل الكوفة و البصرة و الشام فى المصاحف، للفراء، المتوفى سنة ۲۰۷ ه. ۴- اختلاف المصاحف لخلف بن هشام، التوفى سنة ۲۲۹ ه. ۵- اختلاف المصاحف و جامع القراءات، للمدائنى، المتوفى سنة ۲۳۱ ه. ۶- اختلاف المصاحف لأبى حاتم سهل بن محمد السجستانى، المتوفى سنة ۲۴۸ ه. ۷- المصاحف و الهجاء لمحمد بن عيسى الأصبهانى، المتوفى سنة ۲۵۳ ه. ۸- المصاحف لأبى عبد اللّه بن أبى داود السجستانى، المتوفى سنة ۳۱۶ ه. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۱۵ ۹- المصاحف لابن الأنبارى، المتوفى سنة ۳۲۷ ه. ۱۰- المصاحف لابن اشته الأصبهانى، المتوفى سنة ۳۶۰ ه. ۱۱- غريب المصاحف للوراق. و ترى من هذا العرض لهذه الكتب و مؤلفيها أن المصحف الإمام لم يلغ المصاحف التى جاء ليلغيها إلغاء تامّا، و أن هذه المصاحف بخلافها على المصحف الإمام ظلّت حية، إن لم تكن كتابة فحفظا، و إن كنّا نرجّح الأولى. و أول كتاب فى هذا كان لابن عامر- كما ترى- و ابن عامر كانت وفاته سنة ۱۱۸ ه، أى بعد مقتل عثمان بما يقرب من ثلاث و ثمانين سنة، فلقد كانت وفاة عثمان فى الخامسة و الثلاثين من الهجرة. و لقد انتهى إلينا من هذه الكتب كلها كتاب المصاحف لأبى بكر عبد اللّه بن أبى داود السجستانى. و قد نقلت منه نصوصا مرت بك، و أشرت إلى مواضعها من النسخة المطبوعة من هذا الكتاب. و يكاد يكون كتاب أبى بكر السجستانى جامعا لكلام من سبقوه، لتأخره فى الزمن عنهم، و ما أظن من بعده أضاف كثيرا. أعنى بهذا أن كتاب أبى بكر السجستانى يكاد يمثل لنا هذا الخلاف كله. و إنى لأعدّ إقدام هؤلاء النفر من السلف على مثل هذا التأليف إحياء لخلاف حاول الخلفاء الثلاثة أبو بكر و عمر و عثمان- أو قل الخلفاء الأربعة أبو بكر و عمر و عثمان و علىّ- أن يضعوا له نهاية، بالمحاولة الأولى التى تمت على يد أبى بكر و عمر، ثم بالمحاولة الثانية التى تمت تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۱۶ على يد عثمان و أقره عليها على، و شارك فيها كثير من الصحابة، و منهم من كان صاحب مصحف مثل «أبى». و عثمان لم يقدم على ما فعل إلا حين فزّعه الخلاف، و لم يمض ما أقدم عليه إلا بعد أن اطمأنت نفسه إلى ما انتهى إليه، و لم يطمئن إلى اطمئنانه إلا بعد أن آزرته عليه الكثرة، و بعد هذا كله وقف عثمان موقفه الحازم القاطع فألزم الأمصار بالمصحف الإمام، ثم حرق ما عداه، و معنى هذا أنه لا رجعة إلى هذا الخلاف، و لا سبيل إلى الرجعة إليه، إذ لو صح أن ثمة شك قد انتهى إليه عثمان لما كان منه هذا القرار الحازم

القاطع. و لعلك تذكر ما كان من مروان من إحراقه مصحف حفصة الذى كان مرجعا من مراجع المصحف الإمام. و لقد كان سنده، غير أنه أراد من هذا ألا يكون ثمة رجعة إلى الوراء تثير هذا الخلاف فى كتاب قال فيه تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ «۱». و بعد ما يقرب من قرن إلا- قليلا- يطالعنا ابن عامر بمؤلفه فى اختلاف مصاحف الشام و الحجاز و العراق، أو قل: بعد أن اختفى جيل القراء الأول و الثانى و الثالث من الميدان، و بعد أن نفض أصحاب المصحف الامام أيديهم من أدلتهم و اطرحوها و أحرقوها، بعد هذا كله تثار قضية لا- تكافؤ فيها، أدلتها الخلافية قطع فيها بالرأى، و استبعد شىء لا- يستقيم و أقيم مقامه شىء مستقيم.

(_____ ۱) الحجر: ۱۲. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۱۷ و أنا من أجل هذا من القائلين- لا خوفا- بأن إثارة مثل هذا ليست نوعا من الدراسة، فتلك دراسة بتراء، لا تملك أسلوبها العلمى الصحيح. و لقد كنّا نرحب بها لو كانت شيئا جديدا لم تعرفه البيئة حين حكمت فى أمره، بل لقد كان شيئا معهودا للبيئة تعرفه و تعرف أكثر منه، و لقد حكمت فيه و فرغت منه، فإرادته بعد هذا ليكون شيئا يدرس نوع من الكيد، و لو كنت أملك لعفّيت آثاره كما عفّى عثمان آثارا مثله، و لن أكون معها متجنّيا أو متعسّفا أو خائفا، بل أكون مع الحزم الذى اتصف به عثمان، و ناصره عليه «علىّ»، و اجتمع معه فى الرأى عليه اثنا عشر صحابيّا، جمعهم عثمان لهذا العمل الجليل. و ما أصدقها كلمة جرت على لسان أبى بكر السجستانى فى ختام عرضه لمصحف أبى بن كعب، حين يقول: لا نرى أن يقرأ القرآن إلا بمصحف عثمان الذى اجتمع عليه أصحاب النبى، صلى اللّه عليه و سلم، فإن قرأ إنسان بخلافه فى الصلاة أمرته بالإعادة «۱». هذا على الرغم من أن أبا بكر هذا كان تكأة المستشرقين، لأنه واحد من هؤلاء الذين أرادوا أن يوقظوا الفتنة بأيديهم و ألسنتهم. و المستشرقون من أجل هذا لا يقبلون ما يجرّح به أبو بكر، فلقد كذبه أبوه فى أكثر من حديث، و قال عنه الدار قطنى: إنه كثير الخطأ فى الكلام على الحديث، غير أن هذا لم يرض المستشرقين، كما قال «جفرى» فى مقدمته لكتاب «المصاحف لأبى بكر السجستانى»، فلقد قال جفرى: و هذه تهمة لم يرض بها المستشرقون لأنها لم تقم على حجة

(_____ ۱) المصاحف (۵۳ - ۵۴). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۱۸ من الأحاديث التى رويت عنه، و لأنهم اختبروا أحاديثه على قاعدة البحث الجديدة فوجدوها صحيحة و صادقة «۱». يا سبحان اللّه! فلقد أصبح المستشرقون أفقه بعلم الحديث من واضعيه، و أصبحت لهم طرق فى الرواية غابت عن علماء المحدثين، منها أنهم لا- يأبهون بتكذيب الأب لابنه، ما دام الابن يجمع لهم ما شذ و لم يرضه أهل النقل. و ما أحب أن أخوض فى عرض المصاحف المختلفة التى ساق أبو بكر السجستانى منها نماذج مختلفة «۲»، فذلك شىء قد مات- كما قلت لك- و النابش عنه لا- يريد علما و لا- حقّا، و إنما يريد كيدا و شقاقا، غير أنى لا أحب أن أسكت عن أشياء ثلاثة أثارتها كتب المصاحف دون أن أعرضها و أذكر الرأى فيها: أولها: ما يعزى إلى عثمان بن عفان، عن قتادة و يحيى بن يعمر، من أنه، رضى اللّه عنه، لما رفع إليه المصحف قال: إن فيه لحنا و ستقيمه العرب بألسنتها. و هذا الحديث لا يجب أن يمر دون أن يضم إليه حديث ثان يعزى إلى عثمان أيضا، عن عكرمة الطائى، يقول: لما أتى عثمان، رضى اللّه عنه، بالمصحف رأى فيه شيئا من لحن، فقال: لو كان المملى من هذيل و الكاتب من ثقيف لم يوجد فيه هذا. و لقد مرّ بك أن عثمان اختار حين كتب مصحفه رجلين، هما:

(_____ ۱) مقدمة كتاب المصاحف (ص: ۱۲). (۲) المصاحف (۵۰- ۹۱). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۱۹ زيد بن ثابت، و كان أكتب الناس، و سعيد بن العاصى، و كان أفصح الناس و أشبههم لهجة برسول اللّه، صلى اللّه عليه و سلم، و ما كانت تغيب عن عثمان، و لا عمّن كانوا مع عثمان، يوم شمّروا لكتابة المصاحف، هذه الاختلافات فى الرسم الإملائى التى ظهرت بعد كتابة المصحف، و تمنى عثمان لو لم تكن حين قال: لو كان المملى من هذيل و الكاتب من ثقيف لم يوجد فيه هذا. ثم كيف ترد هذه التى وردت فى الحديث الأول عن عثمان، و هو الذى كان من وراء من يكتبان، يراجع ما يكتبانه حرفا حرفا، و كلمة كلمة، و يصلح ما فاتهما. و ما نظن عثمان ونى فى هذا العبء و لا فتر، و هو

يعلم جدّه و خطره، و هو يعلم المتحفزين به من وراء ذلك، على عمل حمل عبئه على الرّغم منهم. اللهم إن ثمة شيئا لا ندفعه، و هو ما جاء فى المصحف الإمام من رسم قديم كان مظنة اللّبس، و رأى عثمان أن ألسنة العرب تقيمه على وجهه، و إن بدا على غير وجهه، فلم يعرض له. و لعل هذا هو تفسير ما جاء على لسان عثمان فى حديثه، إن صح أنه له، يؤيدنا على ذلك حديثه الثانى الذى عقّبت به. و يفسر هذا قول ابن اشته فى كتابه «المصاحف»: جميع ما كتب خطأ يجب أن يقرأ على صحة لغته لا على رسمه، و ذلك فى نحو «لا أوضعوا» و «لا أذبحنه» بزيادة ألف فى وسط الكلمتين، إذ لو قرى بظاهر الخط لكان لحنا شنيعا، يقلب معنى الكلام و يخل بنظامه. و يزيده وضوحا أبو بكر السجستانى من قبل ابن اشته حيث يقول تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۲۰ فى كتابه المصاحف: هذا عندى يعنى: بلغتها- يريد معنى قوله بألسنتها- و إلا لو كان فيه لحن لا يجوز فى كلام العرب جميعا لما استجاز أن يبعث به إلى قوم يقرءونه «۱». و يؤيد هذا ما روى عن عمر بن الخطاب: «إنا لنرغب عن كثير من لحن أبى. يعنى: لغة أبىّ» «۲». و ثانيها: ما يعزى إلى عائشة، يرويه هشام بن عروة، عن أبيه، قال: سألت عائشة عن لحن القرآن: إِنْ هذانِ لَساحِرانِ «۳»، و عن قوله تعالى وَ الْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ وَ الْمُؤْتُونَ الزَّكاةَ «۴»، و عن قوله تعالى: وَ الَّذِينَ هادُوا وَ الصَّابِئُونَ «۵»، فقالت: يا ابن أختى، هذا عمل الكتّاب أخطئوا فى الكتاب «۶». و مثل هذا الذى عزى لعائشة يعزى لأبان بن عثمان، يرويه الزبير يقول: قلت لأبان بن عثمان: كيف صارت «لكن الراسخون فى العلم منهم و المؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك و ما أنزل من قبلك و المقيمين الصلاة و المؤتون الزكاة»، ما بين يديها و ما خلفها رفع و هى نصب؟ قال: من قبل الكتّاب، كتب ما قبلها ثم قال: ما أكتب؟ قال: أكتب «و المقيمين الصلاة» فكتب ما قيل له «۷».

(_____ ۱) المصاحف لأبى بكر السجستانى (ص: ۳۲). (۲) المصاحف لأبى بكر السجستانى (ص: ۳۲). (۳) طه: ۶۳. (۴) النساء: ۱۶۲. (۵) المائدة: ۶۹. (۶) المصاحف: ۳۴. (۷) المصاحف (ص: ۳۳- ۳۴). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۲۱ و ينضم إلى هذا ما يعزى إلى سعيد بن جبير أنه قال: فى القرآن أربعة أحرف لحن: وَ الصَّابِئُونَ «۱»، وَ الْمُقِيمِينَ «۲»، «فأصدق و أكن من الصالحين» «۳»، إِنْ هذانِ لَساحِرانِ «۴». و قبل أن أقول كلمتى أحب أن تأنس معى بقول عالم جليل من علماء التفسير و اللغة، و ما أبغى أن أضم إليه غيره لأثقل عليك. يقول الزمخشرى محمود بن عمر فى كتابه «الكشاف» «۵»: وَ الصَّابِئُونَ- المائدة، الآية: ۶۹- رفع على الابتداء، و النية به التأخير عما فى حيّز «إن» من اسمها و خبرها، كأنه قيل: إن الذين آمنوا و الذين هادوا و النصارى حكمهم كذا و الصابئون كذلك. و أنشد سيبويه «۶» شاهدا له: و إلّا فاعلموا أنّا و أنتم بغاة ما بقينا فى شقاق أى: فاعلموا أنا بغاة و أنتم كذلك. فإن قلت: هلا زعمت أن ارتفاعه للعطف على محل «إن» و اسمها؟ قلت: لا يصح ذلك قبل الفراغ من الخبر، لا تقول: إن زيدا و عمرو منطلقان. فإن قلت: لم لا يصح و النية به التأخير، فكأنك قلت: إن زيدا منطلق و عمرو؟ قلت: لأنى إذا

(_____ ۱) المائدة: ۶۹. (۲) النساء: ۱۶۲. (۳) المنافقون: ۱۰. (۴) طه: ۶۳. (۵) الجزء الأول (۶۶۰- ۶۶۱) طبعة الاستقامة. (۶) الكتاب (۱: ۲۹۰). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۲۲ رفعته عطفا على محل «إن» و اسمها، و العامل فى محلهما هو الابتداء، فيجب أن يكون هو العامل فى الخبر، لأن الابتداء ينتظم الجزءين فى عملهما كما تنتظمهما «إن» فى عملها. فلو رفعت «الصابئون» و المنوىّ به التأخير بالابتداء، و قد رفعت الخبر بإن، لأعملت فيهما رافعين مختلفين. فإن قلت: فقوله «و الصابئون» معطوف لا بدّ له من معطوف عليه فما هو؟ قلت: مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله «إن الذين آمنوا» و لا محل لها، كما لا محل التى عطفت عليها، فإن قلت: ما التقديم و التأخير إلا لفائدة، فما فائدة هذا التقديم؟ قلت: فائدته التنبيه على أن الصابئين أبين هؤلاء المعدودين ضلالا و أشدّهم غيّا، و ما سموا صابئين إلا لأنهم صبئوا عن الأديان كلها، أى خرجوا، كما أن الشاعر قدّم قوله «و أنتم» تنبيها على أن المخاطبين أوغل فى الوصف بالبغاة من قومه، حيث عاجل به قبل الخبر الذى هو «بغاة»، لئلا يدخل قومه فى البغى قبلهم، مع كونهم أوغل فيه منهم و أثبت قدما. فإن قلت: فلو قيل: و الصابئين و إياكم، لكان التقديم حاصلا؟ قلت: لو قيل هكذا لم يكن من التقديم فى شىء، لأنه لا إزالة فيه عن موضعه، و إنما يقال:

مقدم و مؤخر، للمزال لاـ للقارّ فى مكانه، و مجرى هذه الجملة مجرى الاعتراض فى الكلام. و قال الزمخشرى «۱»: «و المقيمين» (النساء: ۱۶۲) نصب على المدح لبيان فضل الصلاة. و هو باب واسع. و قد كسّره سيبويه على أمثلة و شواهد، و لا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحنا فى خط المصحف

(۱) الكشاف (۱: ۵۹۰). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۲۳ و ربما التفت إليه من لم ينظر فى الكتاب، و لم يعرف مذاهب العرب و ما لهم فى النصب على الاختصاص من الافتنان، و غبى عليه أن السابقين الأولين، الذين مثلهم فى التوراة و مثلهم فى الإنجيل، كانوا أبعد همّة فى الغيرة على الإسلام، و ذبّ المطاعن عنه، من أن يتركوا فى كتاب اللّه ثلمة ليسدها من بعدهم، و خرقا يرفوه من لحق بهم. و قيل: هو عطف على «بما أنزل إليك» أى يؤمنون بالكتاب و بالمقيمين الصلاة، و هم الأنبياء. و فى مصحف عبد اللّه «و المقيمون» بالواو، و هى قراءة مالك بن دينار، و الجحدرىّ، و عيسى الثقفى. و قال الزمخشرى «۱»: «و أكن»- المنافقون: ۱۰- «عطفا على محل «فأصدق»، كأنه قيل: إن أخرتنى أصدق و أكن. و من قرأ «و أكون»، على النصب، فعلى اللفظ. و قرأ عبيد بن عمير: «و أكون»، على: و أنا أكون، عدة منه بالصلاح». و قال الزمخشرى «۲»: «إن هذان لساحران»- طه: ۶۳-: «قرأ أبو عمر: إن هذين لساحران، على الجهة الظاهرة المكشوفة. و ابن كثير و حفص: إن هذان لساحران، على قولك: إن زيد لمنطلق. و اللام هى الفارقة بين إن النافية و المخففة من الثقيلة. و قرأ أبىّ: إن ذان إلا ساحران. و قرأ ابن مسعود: أن هذان ساحران، بفتح أن و بغير لام، بدل من «النّجوى» «۳». و قيل فى القراءة المشهورة- و هو يعنى المصحف

(۱) الكشاف (۴: ۵۴۴). (۲) الكشاف (۳: ۷۲۰). (۳) طه: ۶۲: و أسروا النجوى. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۲۴ الإمام-: إن هذان لساحران، هى لغة بلحارث بن كعب، جعلوا الاسم المثنى نحو الأسماء التى آخرها ألف، كعصا و سعدى، فلم يقلبوها فى الجر و النصب. و قال بعضهم: «إن» بمعنى: نعم، و «ساحران» خبر مبتدأ محذوف، و اللام داخلة على الجملة، تقديره: لهما ساحران. و قد أعجب به أبو إسحاق. انتهى كلام الزمخشرى. و بودى أن أشير قبل أن أمضى فى حديثى إلى أن فى كلامه دليلا جديدا يؤيدنى فيما اخترت من قبل عن القراءات السبع فى القرآن، و أنها لغات العرب جاءت مبثوثة فى القرآن، و بها كلها يتجه الكلام. أما عن حديثى الذى أحب أن أمضى فيه: ۱- فأما ما جاء منسوبا إلى عثمان فقد قدّمت دفعى له و تأويله، و يحضرنى هنا بعد عرض آراء الزمخشرى أن اللحن الذى جاء على لسان عثمان مراد به: توجيه الكلام توجيها ليس على ظاهره، و أن المراد بتقويم الألسنة أو اللغات له: بيان الوجه المراد معه. هذا إن صح ما نسب إلى عثمان. ۲- و أما ما جاء منسوبا إلى عائشة، فما أظن عائشة تسكت على خطأ الكتّاب فى كتاب اللّه، و ترضى به يشيع و يخرج عن المدينة إلى الأمصار، و لم تكن بعيدة عن عثمان و لا عن الصحابة الكاتبين، و ما أظنها كانت أقلّ منهم حرصا على سلامة كتاب اللّه. و حسبك ما قدمه الزمخشرى فى هذه. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۲۵ ۳- و أما عن تلك التى ينسبونها لأبان بن عثمان، فلا ادرى كيف جاءت على لسانه، مع العلم بأنه ممن لم يشهدوا عصر التدوين، و لا كان حاضر ذلك، فلقد كانت وفاته سنة ۱۰۵ ه، و عثمان مات سنة ۳۵ ه. و بعد. فهذا الذى نسب إلى أبان استنباط لا رواية مأثورة، و هذا الاستنباط الذى استنبطه أبان لا يصح إلا عن مشاهدة، أو سماع عن مشاهدة، و كلاهما لم يتوفّر لهذا الحكم. و ثالث الأشياء التى أردت ألا أسكت عنه: هو ما يعزوه أصحاب التواليف فى المصاحف إلى الحجاج بن يوسف، و أنه غيّر فى مصحف عثمان أحد عشر حرفا، و قد رواها أبو بكر السجستانى فى كتابه المصاحف مرّتين. الأولى يقول فيها: حدثنا عبد اللّه: حدثنا أبو حاتم السجستانى: حدثنا عبّاد بن صهيب، عن عوف بن أبى جميلة: أن الحجاج ابن يوسف غيّر فى مصحف عثمان أحد عشر حرفا «۱». و الثانية يقول فيها: قال أبو بكر- يعنى نفسه- كان فى كتاب أبى: حدثنا رجل- فسألت أبى: من هو؟ فقال: حدثنا عباد بن صهيب، عن عوف بن أبى جميلة. أن الحجاج بن يوسف غيّر فى مصحف عثمان أحد عشر حرفا «۲». و هذه هى الأحرف، كما ذكرها أبو بكر السجستانى:

(۱) المصاحف (ص: ۴۹). (۲)

المصاحف (ص: ۱۱۷). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۲۶ ۱- كانت فى البقرة «لم يتسن» فغيرها «لم يتسنه»- الآية: ۲۵۹. و أحب أن أعقب أن ابن مسعود قرأ «لم يتسن» و الأصل فيها «يتسنن»، فقلبت، لأن الثانية حرف علة، كما فى: تفضض، و تفضى. و قرأ حمزة و الكسائى بحذف الهاء فى الوصل، على أنها هاء السكت. و قرأ باقى السبعة بإثبات الهاء فى الوصل و الوقف، على أنها أصلية. و قرأ أبىّ «لم يسّنه»، بإدغام التاء فى السين. ۲- و كانت فى سورة المائدة: شريعة و منهاجا فغيره «شرعة و منهاجا»- الآية: ۴۸. و أحب أن أعقب أن هذه لم يقرأ بها أحد من القراء. ۳- و كانت فى سورة يونس هو الذى ينشركم، فغيّره «هو الذى يسيركم»- الآية: ۱۰. و أحب أن أعقب أن «ينشركم» قراءة ابن عامر، و يزيد بن القعقاع. و ينشركم، أى: يحييكم. ۴- و كانت فى سورة يوسف أنا آتيكم بتأويله، فغيّرها «أنا أنبئكم بتأويله»- الآية: ۴۵. و أحب أن أعقب أن هذه لم يقرأ بها أحد من القراء. ۵- و كانت فى سورة المؤمنين سَيَقُولُونَ لِلَّهِ فغيرها، «سيقولون اللّه» الآيتان: ۸۷ و ۸۹. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۲۷ و أحب أن أعقب أن الأولى هى القراءة المشهورة. و قرأ بالثانية أبو عمرو، و يعقوب. ۶ و ۷- و كانت فى سورة الشعراء «من المخرجين»- الآية: ۱۱۶- فغيرها «من المرجومين» و «من المرجومين»- الآية: ۱۶۷- فغيرها «من المخرجين». و أحب أن أعقب أن هذه و تلك هما القراءتان المشهورتان. ۸- و كانت فى سورة الزخرف «معايشهم»، فغيرها «معيشتهم»- الآية: ۳۱. و أحب أن أعقب أن هذه هى القراءة المشهورة، و لم يقرأ بالأولى أحد من القراء. ۹- و كانت فى سورة الذين كفروا «ياسن»، فغيرها «آسن»، الآية: ۱۵. و أحب أن أعقب أن حمزة قرأ «ياسن»، وقفا لا وصلا. و أن «آسن» هى القراءة المشهورة. ۱۰- و كانت فى سورة الحديد فالذين آمنوا منكم و اتقوا، فغيرها «و أنفقوا»- الآية: ۷. و أحب أن أعقب أن القراءة المشهورة «و أنفقوا»، و لم يقرأ أحد من القراء «و اتقوا». ۱۱- و كانت فى سورة التكوير و ما هو على الغيب بظنين، فغيّرها «بضنين»- الآية: ۲۴. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۲۸ و أحب أن أعقب أن مكّيّا، و أبا عمرو، و عليا، و يعقوب، قرءوا «بظنين»، أى: متهم. و أن الباقين قرءوا «بضنين»، أى: ببخيل. هذه هى الأحرف التى يروى أن الحجاج غيرها فى مصحف عثمان. و أحب أن أزيد الأمر وضوحا و لا أتركه على إبهامه هذا الذى يثير شكّا، و يكاد القول فيه على ظاهره يعطى للحجّاج أن يغيّر فى كتاب اللّه: ۱- لقد رأيت كيف روى أبو بكر السجستانى هذا الخبر فى كتابه «المصاحف» فى مكانين بسندين، هما و إن اتفقا إلا أن ثانيهما رواه أبو بكر فى أسلوب يهون فيه من شأن المسند إليه الخبر. ۲- و لقد رأيت من هذا التعقيب الذى عقبنا به على هذه الأحرف. أن ثمانية منها تحتمل قراءات، و أن ما أثبته الحجاج كان المشهور. ۳- و لقد رأيت أن ثلاثة منها لم يقرأ بها أحد من القراء، و هى «شريعة» التى غيرت إلى «شرعة» و «آتيكم» التى غيرت إلى «أنبئكم»، و «معيشتهم» التى غيرت إلى «معايشهم». و أحبك أن تعرف: ۴- أن الحجاج كان من حفّاظ القرآن المعدودين. ۵- و أن الحجاج كانت على يديه الجولة الثانية فى نقط المصاحف و شكلها، بعد أن كانت الجولة الأولى على يد الصحابة، و كانت جولة الصحابة بداية لم تشمل القرآن كله بل كانت نوعا من التيسير. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۲۹ يقول الدّانى «۱» بسند متصل عن قتادة: بدءوا فنقطوا ثم خمسوا ثم عشّروا- و هو يعنى الصحابة. ثم يقول فى إثر هذا: هذا يدل على أن الصحابة و أكابر التابعين هم المبتدءون بالنقط و رسم الخموس و العشور. و فى الجولة الثانية خلاف، فمن الرواة من يعزوها إلى أبى الأسود الدؤلى، بعد أن طلبها منه زياد. و منهم من يعزوها إلى يحيى بن يعمر العدوانى، و كان ذلك عن طلب الحجاج، و يقول: إن هذا هو الأعرف. و ما نظن الحجاج- و هو الحافظ للقرآن- كان بعيدا عن يحيى ابن يعمر، كما لم يكن عثمان بعيدا عن زيد بن ثابت، و سعيد. و إذن نستطيع أن نقول: ۱- إن هذه الأحرف الثلاثة التى لم يقرأ بها أحد لم تكن منقوطة و لا مشكولة، فميّزها النقط و بيّنها، و كانت على ألسنة الناس كما كانت على لسان الحجاج، بدليل أنها لم ترد فى قراءة، و لا أدرى كيف قامت هذه دعوى. ۲- إن الأحرف الثمانية الباقية، فيها قراءات، كما مر بك، و المشهور منها ما يعزى إلى الحجاج أنه أثبته.

(_____ ۱) المحكم فى نقط المصاحف لأبى عمر عثمان بن سعيد الدانى (ص: ۲- ۳). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۳۰ و لكن من أنّى لنا أن هذا الذى يقال إن الحجاج أثبته لم يكن، و إن رسم مصحف عثمان كان يحتمله، و إن الحجاج لم يفعل غير أن بيّنه و ميّزه. يحدونى إلى هذا ما روى من أن عثمان حين

كان يعرض عليه المصحف غيّر «لم يتسن» إلى «لم يتسنه»، إذن فالذى يعزى إلى الحجاج أنه فعله عزى إلى عثمان أنه فعله من قبله، و لا يمنع أن يكون هذا كله- أعنى الأحرف الثمانية- كانت مقروء مصحف عثمان، و أن الحجاج حين نقط و شكل ميز الرسم و بيّنه، يستوحى فى ذلك من مقروئه و مقروء الناس الذين يقرءون بقراءة مصحف عثمان. إذن فلا تغيير للحجاج فى كتاب اللّه. ثم ما أهون مدلول ما نسبوه إلى الحجاج، و هل كان بعد هذا غير تبيين رسم و تمييزه، و ما أظن الحجاج خرج فيها على مصحف عثمان بقراءة أخرى، بل أكاد أؤكد أنه التزم فيها مقروء مصحف عثمان، و أنه لم يفعل غير التميز و التبيين، بدليل تلك التى سقتها عن «لم يتسن» و «لم يتسنه»، و أن الحجاج فيما فعل كان حريصا على أن يمكّن للمصحف الامام، و أن ينفى عنه ما عساه أن يكون دخل عليه من قراءات. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۳۱

۱۴- القراءات

۱۴- القراءات و قد مرّ بك الرأى فى القراءات السبع، و معنى قوله، صلى اللّه عليه و سلم: نزل القرآن على سبعة أحرف- أى: على سبعة أوجه من اللغات متفرقة فى القرآن «۱». و روى عن عمر أنه قال: نزل القرآن بلغة مضر. و إذا رجعنا نحصى قبائل مضر وجدناها سبع قبائل، و هى: هذيل، و كنانة، و قيس، و ضبّة، و تيم الرّباب، و أسد بن خزيمة، و قريش. كما يروى عن ابن عباس أنه قال: نزل القرآن على سبع لغات، منها خمس بلغة العجز من هوازن، و اثنتان لسائر العرب. و العجز هم: سعد بن بكر، و جشم بن بكر، و نصر بن معاوية، و ثقيف، و كان يقال لهم: عليا هوازن. كما يروى عن أبى حاتم السّجستانى أنه قال: نزل القرآن بلغة قريش، و هذيل، و تميم، و لأزد، و ربيعة، و هوازن، و سعد بن بكر. كما يروى السّيوطى فى «الإتقان» آراء غير مسندة، منها: ۱- أنها سبع لغات متفرقة لجميع العرب، كل حرف منها لقبيلة مشهورة. ۲- أنها سبع لغات، أربع لعجز هوازن، و ثلاث لقريش.

(_____ ۱) تأويل مشكل القرآن (ص: ۲۶).

تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۳۲ ۳- أنها سبع لغات: لغة لقريش، و لغة لليمن، و لغة لجرهم، و لغة لهوازن، و لغة لقضاعة، و لغة لتميم، و لغة لطيئ. ۴- أنها لغة الكعبين: كعب بن عمرو، و كعب بن لؤى، و لهما سبع لغات. و هذا الخبر مسند لابن عباس من طريق آخر عير الطريق الأول الذى روى به خبره السابق. و هذا الاختلاف فى التعيين لا يضير فى شىء، فثم لغات سبع مفرّقة فى القرآن، أخبر الرسول عن جملتها، و لم يخبر عن تفصيلها، و كان هذا التفصيل مكان الاجتهاد بين المجتهدين. و ليس معنى الحديث أن كل كلمة تقرأ على سبع لغات، بل اللغات السبع مفرقة، تقرأ قريش بلغتها، و تقرأ هذيل بلغتها، و تقرأ هوازن بلغتها، و تقرأ اليمن بلغتها. و فى ذلك يقول أبو شامة نقلا عن بعض شيوخه: أنزل القرآن بلسان قريش، ثم أبيح للعرب أن يقرءوه بلغاتهم التى جرت عادتهم باستعمالها، على اختلافهم فى الألفاظ و الإعراب «۱». و يعجبنى تعقيب لابن الجوزى على كون هذه الأحرف سبعة، يقول: و أما وجه كونها سبعة أحرف، دون أن لم تكن أقل أو أكثر، فقال الأكثرون: إن أصول قبائل العرب تنتهى إلى سبعة، و إن اللغات الفصحى سبع، و كلاهما دعوى (_____ ۱) الإتقان (ص: ۴۷). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۳۳ و قيل: ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد، بحيث لا يزيد و لا ينقص، بل المراد السعة و التيسير، و أنه لا حرج عليهم فى قراءته بما هو فى لغات العرب، من حيث إن اللّه تعالى أذن لهم فى ذلك. و العرب يطلقون لفظ السبع و السبعين و السبعمائة و لا يريدون حقيقة العدد، بحيث لا يزيد و لا ينقص، بل يريدون الكثرة و المبالغة من غير حصر «۱». و كانت هذه اللغات علمها إلى الرسول، قد أحاطه اللّه بها علما، و حين يقرأ الهذلى بين يديه «عتى حين» و هو يريد «حتى حين» «۲» يجيزه، لأنه هكذا يلفظ بها و يستعملها. و حين يقرأ الأسدى بين يديه «تسود وجوه» «۳» بكسر التاء فى «تسود»، و «أ لم اعهد إليكم» «۴» بكسر الهمزة فى «أعهد»، يجيزه، لأنه هكذا يلفظ و هكذا يستعمل. و حين يهمز التميمى على حين لا يهمز القرشى، يجيزه، لأنه هكذا يلفظ و هكذا يستعمل. و حين يقرأ قارئهم «و إذا قيل لهم» «۵» و «غيض الماء» «۶» بإشمام الضم مع الكسر، يجيزه، لأنه هكذا يلفظ و هكذا

يستعمل (_____. ۱) النشر فى القراءات العشر (۲۵- ۲۶). (۲) المؤمنون: ۵۴- الصافات: ۱۷۴ و ۱۷۸- الذاريات: ۴۷. (۳) آل عمران: ۱۰۶. (۴) يس: ۶۰. (۵) البقرة: ۱۱. (۶) هود: ۴۴. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۳۴ و حين قرأ قارئهم «هذه بضاعتنا ردّت إلينا» «۱» بإشمام الكسر مع الضم فى «ردت»، يجيزه، لأنه هكذا يلفظ و هكذا يستعمل. و حين يقرأ قارئهم «مالك لا تأمنا» «۲» بإشمام الضم مع الإدغام فى ميم «تأمنا»، يجيزه، لأنه هكذا يلفظ و هكذا يستعمل، و تكليفه غير هذا عسير. و حين يقرأ قارئهم «عليهم»، و «فيهم» بالضم، و يقرأ قارئ آخر «عليهمو» و «فيهمو» بالصلة، يجيزه، لأنه هكذا يلفظ و هكذا يستعمل. و حين يقرأ قارئهم «قد أفلح» «۳»، و «قل أوحى» «۴»، و «خلوا إلى» «۵»، بالنقل، يجيزه، لأنه هكذا يلفظ و هكذا يستعمل. و حين يقرأ قارئهم «موسى» و «عيسى» و «سبأ» بالإمالة، و غيره يلطف، يجيزه، لأنه هكذا يلفظ و هكذا يستعمل. و حين يقرأ قارئهم «خبيرا» و «بصيرا»، بالترقيق، يجيزه، لأنه هكذا يلفظ و هكذا يستعمل. و حين يقرأ قارئهم «الصلوات»، و «الطلاق»، بالتفخيم، يجيزه، لأنه هكذا يلفظ و هكذا يستعمل «۶». (_____ ۱) يوسف: ۶۵. (۲) يوسف: ۱۱. (۳) المؤمنون: ۱. الأعلى: ۱۴. الشمس: ۹. (۴) الجن: ۱. (۵) البقرة: ۱۴. (۶) تأويل مشكل القرآن (ص: ۳۰)- النشر فى القراءات العشر (۱: ۲۹). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۳۵ و يفسر لك هذا ما روى عن عمر، قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها، و قد كان النبى، صلى اللّه عليه و سلم، أقرأنيها، فأتيت به النبى، صلى اللّه عليه و سلم، فأخبرته، فقال له: اقرأ، فقرأ تلك القراءة. فقال: هكذا أنزلت، ثم قال لى: اقرأ، فقرأت، فقال: هكذا أنزلت. ثم قال: هذا القرآن نزل على سبعة أحرف فاقرءوا منه ما تيسر «۱». و كذلك يفسر لك هذا ما روى عن أبىّ، قال: دخلت المسجد أصلى، فدخل رجل فافتتح «النحل» فقرأ، فخالفنى فى القراءة، فلما انفتل قلت: من أقرأك؟ قال: رسول اللّه، صلى اللّه عليه و سلم. ثم جاء رجل فقام يصلى، فقرأ و افتتح «النحل»، فخالفنى و خالف صاحبى، فلما انفتل قلت: من أقرأك؟ قال: رسول اللّه، صلى اللّه عليه و سلم، قال: فأخذت بأيديهما فانطلقت بهما إلى النبى، صلى اللّه عليه و سلم، فقلت: استقرئ هذين، فاستقرأ أحدهما، فقال: أحسنت. ثم استقرأ الآخر، فقال: أحسنت. و يقول ابن قتيبة: «و لو أن كل فريق من هؤلاء أمر أن يزول عن لغته، و ما جرى عليه اعتياده، طفلا و ناشئا و كهلا لاشتدّ ذلك عليه، و عظمت المحنة فيه، و لم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة، و تذليل للسان، و قطع للعادة» «۲». (_____ ۱) المرجعان السابقان. (۲) تأويل مشكل القرآن (ص: ۲۷)- النشر (۱: ۲۱). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۳۶

۱۵- القراء

۱۵- القراء و لقد كانت كتابة المصحف بلغة قريش، أو بحرف قريش، بذلك أمر عثمان زيد بن ثابت، و عبد اللّه بن الزبير، و سعد بن العاص، و عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، و هم ينسخون المصاحف، و قال لهم: إذا اختلفتم أنتم و زيد بن ثابت فى شىء فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم. و أرسل عثمان المصاحف إلى الأمصار. و أخذ كل أهل مصر يقرءون بما فى مصحفهم، يتلقون ما فيه عن الصحابة الذين تلقوا عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، ثم قاموا بذلك مقام الصحابة، الذين تلقوه عن النبى، صلى اللّه عليه و سلم، فكان بالمدينة نفر، منهم: ابن المسيّب، و معاذ ابن الحارث، و شهاب الزهرىّ؛ و كان بمكة نفر، منهم: عطاء، و طاوس، و عكرمة؛ و بالكوفة نفر، منهم: علقمة، و الشّعبى، و سعيد بن جبير؛ و بالبصرة نفر، منهم: الحسن، و ابن سيرين، و قتادة؛ و بالشام نفر، منهم: المغيرة بن أبى شهاب المخزومى، صاحب عثمان بن عفان. ثم تجرد قوم للقراءة و اعتنوا بضبطها أتمّ عناية، حتى صاروا فى ذلك أئمة يقتدى بهم، و يرحل إليهم، و يؤخذ عنهم، و أجمع أهل بلدهم على تلقى قراءتهم بالقبول، و لم يختلف عليهم فيها اثنان، و لتصدّيهم للقراءة نسبت إليهم. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۳۷ فكان بالمدينة نفر، منهم: أبو جعفر يزيد بن القعقاع، ثم

نـافع ابن أبى نعيم. و كـان بمكـة نفر، منهم: عبـد اللّه بن كثير، و محمـد بن محيصن. و كـان بكوفـة نفر، منهم. سـليمان الأـعمش، ثم حمزة، ثم الكسـائى. و كـان بالبصـرة نفر، منهم: عيسـى بن عمر، و أبو عمرو بن العلاـء. و كـان بالشام نفر، منهم: عبـد اللّه بن عامر، و شريح بن يزيد الحضرمى «۱». غير أن القرّاء بعـد هـذا كثروا، و تفرقوا فى البلاد، و انتشـروا فى الأقطار، و كاد يدخل على هذا العلم ما ليس فيه، فشـمّر لضبطه و تنقيته أئمة مشهود لهم، منهم: ۱- الإمام الحافظ الكبير أبو عمرو عثمان بن سـعيد بن عثمان بن سعيد الدانى، من أهل دانية بالأندلس. و كانت وفاته سـنة أربع و أربعين و أربعمائة، و كتابه فى هذا الباب هو: التيسير. ۲- الإمام المقرئ المفسر أبو العباس أحمـد بن عمارة بن أبى العباس المهـدوى، المتوفى بعد الثلاثين و أربعمائة. و له كتاب الهداية. ۳- الإمام أبو الحسن طاهر بن أبى الطيب بن أبى غلبون الحلـبىّ (_____، ۱) النشر (۱: ۸- ۹). تاريـخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۳۸ نزيل مصـر. و توفى بها سـنة تسع و تسـعين و ثلاثمائـة، و له كتاب: التذكرة. ۴- الإمام أبو محمد مكى بن أبى طالب القيروانى. و كانت وفاته سـنة سبع و ثلاثين و أربعمائة بقرطبة، و له كتاب: التبصرة. ۵- الإمام أبو القاسم عبـد الرحمن بن إسـماعيل، المعروف بأبى شامـة و له كتاب: المرشد الوجيز. و لقد كان رائد هؤلاء جميعا، فيما أخذوا فيه، أن كل قراءة وافقت العربية و لو بوجه، و وافقت المصـحف الإمام و صحّ سـندها، فهى قراءة صحيحة لا يجوز ردّها، و لا يحل إنكارها. و إذا اختـل ركن من هـذه الأركـان كـانت تلـك القراءة ضـعيفة، أو شـاذة، أو باطلـة. و فى ظـل هـذه القيود التى أجمع عليها القرّاء: ۱- الموافقـة للعربية و لو بوجه. ۲- الموافقة للمصـحف الإمام، و لو احتمالا. ۳- أن يصـح سـندها. قام الأئمة بتأليف كتب فى القراءات، و كان أول إمام جمع القراءات فى كتاب، هو أبو عبيد القاسم بن سـلام، المتوفى سـنة أربع و عشرين و مائتين. و قد جعل القراءات نحوا من خمس و عشـرين قراءة، و توالى بعـده أئمـة مؤلفون جمعوا القراءات فى كتب، منهم من جعلها تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۳۹ عشـرين، و منهم من زاد و منهم من نقص، إلى أن كان الأمر إلى أبى بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، فاقتصر على قراءات لقراء سـبع، هم: عبـد اللّه بن كـثير، فى مكـة؛ و نـافع بن أبى رويم، فى المدينـة؛ و أبـو عمرو بن العلاـء، فى البصـرة؛ و عـاصم بن أبى النجود، و حمزة بن حبيب الزيات، و على الكسائى، فى الكوفـة؛ و عبد اللّه بن عامر، فى الشام. ثم جاء بعده من رفعها إلى عشـر، نذكر منهم إماما متأخرا، و هو: ابن الجزرى أبو الخير محمـد بن محمد، المتوفى سـنة ۸۳۳ ه، و كتابه هو: النشـر فى القراءات العشر. و القراء الثلاثـة، الذين زادوا على السـبعة، هم: يزيد بن القعقاع، فى المدينة؛ و يعقوب الحضـرمىّ، فى البصـرة؛ و خلف البزار، فى الكوفة. هذا غير قراء جاءوا بقراءات شاذة، كان على رأسهم ابن شنبوذ، المتوفى سنة ۳۲۸ ه، ثم أبو بكر العطار النحوى، المتوفى سنة ۳۵۴ ه. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۴۰

۱۶- رأى ابن قتيبة فى القراءات

۱۶- رأى ابن قتيبـة فى القراءات و قد لخّص ابن قتيبة وجوه الخلاف فى القراءات، و أحب أن أسوق إليك ما قال: يقول ابن قتيبة «۱»: و قد تدبرت وجوه الخلاف فى القراءات فوجدتها سبعة أوجه: أولها: الاختلاف فى إعراب الكلمة، أو فى حركة بنائها بما لا يزيلها عن صورتهـا فى الكتـاب و لا يغير معناها، نحو قوله تعالى: هؤُلاءِ بَناتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ- هود: ۷۸- و أَطْهَرُ لَكُمْ بـالنصب- و هَلْ نُجازِى إِلَّا الْكَفُورَ- سبأ: ۱۷- و هـل يجازى إلا الكفور- و يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ- النساء: ۳۷، الحديد: ۲۴- و بِالْبُخْلِ بفتح الباء و الخاء- و فَنَظِرَةٌ إِلى مَيْسَرَةٍ- البقرة: ۲۸۰- و مَيْسَرَةٍ بضم السين. ثانيهـا: أن يكون الاختلاـف فى إعراب الكلمـة و حركـات بنائهـا بما يغير معناها و لا يزيلها عن صورتها فى الكتاب، نحو قوله تعالى: و رَبَّنا باعِدْ بَيْنَ أَسْفارِنا سبأ: ۱۹، و رَبَّنا باعِدْ بَيْنَ أَسْفارِنا، و إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ النور: ۱۵- و تَلَقَّوْنَـــهُ بفتـــح فكســـر فضـــم- و وَ ادَّكَرَ بَعْـــدَ أُمَّةٍ- يوســـف: ۴۵- و أُمَّةٍ أى: نســـيان. (_____۱) تأويل مشـكل القرآن (۲۸- ۳۲). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۴۱ ثالثها: أن يكون الاختلاف فى حروف الكلمة دون إعرابها، بما يغيّر معناها و لا يزيل صورتها، نحو

قوله تعالى: «و انظر إلى العظام كيف ننشزها»- البقرة: ۲۵۹- و «ننشرها» بالراء- و «حتى إذا فزّع عن قلوبهم» سبأ: ۲۳- و «فرّغ» بالراء و الغين المعجمة. رابعها: أن يكون الاختلاف فى الكلمة بما يغير صورتها فى الكتاب و لا يغير معناها فى الكلام، نحو قوله تعالى: «إن كانت إلا صيحة واحدة» يس: ۲۸- و «زقية واحدة»- و «كالعهن المنفوش»- القارعة: ۵- و «كالصّوف». خامسها: أن يكون الاختلاف فى الكلمة بما يزيل صورتها و معناها، نحو قوله «و طلع منضود»- الواقعة: ۲۹- و «طلح». سادسها: أن يكون الاختلاف بالتقديم و التأخير، نحو قوله تعالى: «و جاءت سكرة الموت بالحق»- ق: ۱۹- و فى موضع آخر: «و جاءت سكرة الحق بالموت». سابعها: أن يكون الاختلاف بالزيادة و النقصان، نحو قوله تعالى: «و ما عملت أيديهم»، و «و ما عملته أيديهم» يس: ۳۵، و نحو قوله تعالى: «إن اللّه هو الغنى الحميد» لقمان: ۲۶- و «إن اللّه الغنى الحميد». ثم قال ابن قتيبة: فإن قال قائل: هذا جائز فى الألفاظ المختلفة إذا كان المعنى واحدا فهل يجوز أيضا إذا اختلفت المعانى؟ قيل له: الاختلاف نوعان: اختلاف تغاير، و اختلاف تضاد. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۴۲ فاختلاف التضاد لا يجوز. و لست واجده بحمد اللّه فى شىء من القرآن، إلا فى الأمر و النهى، من الناسخ و المنسوخ. و اختلاف التغاير جائز، و ذلك مثل قوله «و ادّكر بعد أمة» أى بعد حين، و «بعد أمة» أى بعد نسيان له، و المعنيان جميعا، و إن اختلفا، صحيحان، لأن ذكر أمر يوسف بعد حين و بعد نسيان له. و كقوله: «إذ تلقونه بألسنتكم» أى تقبلونه و تقولونه، و «تلقونه» من الولق، و هو الكذب، و المعنيان جميعا، و إن اختلفا، صحيحان؛ لأنهم قبلوه و قالوه، و هو كذب. و كقوله: «ربّنا باعد بين أسفارنا» على طريق الدعاء و المسألة، و «ربّنا باعد بين أسفارنا» على جهة الخبر، و المعنيان، و إن اختلفا، صحيحان. و كقوله: «و أعتدت لهن متّكأ»، و هو الطعام، و «و أعتدت لهن متكأ» بضم الميم و سكون التاء و فتح الكاف، و هو الأترج. فدلت هذه القراءة على معنى ذلك الطعام. و كذلك «ننشرها» و «ننشزها»، لأن الإنشار: الإحياء، و الإنشاز: هو التحريك للنقل، و الحياة حركة، فلا فرق بينهما. و كذلك «فزع عن قلوبهم»، و «فرغ»، لأن «فزع»: خفف عنها الفزع، و فرغ: فرغ عنها الفزع. ثم قال ابن قتيبة: و كل ما فى القرآن من تقديم أو تأخير، أو زيادة أو نقصان، فعلى مثل هذه السبيل. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۴۳

۱۷- تعقيب على القراءات

۱۷- تعقيب على القراءات و الأمر فى القراءات كما يبدو لك، ينحصر فى أحوال ثلاث: الأولى- و هى تتصل بأحرف العرب أو لغاتها- و هى التى قدمنا منها مثلا فى الإمالة و الإشمام و الترقيق و التفخيم، و غير ذلك مما لفظت به القبائل و لم تستطع ألسنتها غيره، و هذا الذى قلنا عنه: إنه المعنىّ بالأحرف السبعة التى جاءت فى الحديث. و ما من شك فى أن ذلك كان رخصة للعرب يوم أن كانوا لا يستطيعون غيره، و كان من العسير عليهم تلاوة القرآن بلغة قريش. ثم ما من شك فى أن هذه الرخصة قد نسخت بزوال العذر، و تيسر الحفظ، و فشو الضبط، و تعلم القراءة و الكتابة «۱». و أسوق إليك ما قاله الطبرى بعد ما سقت إليك ما قاله الطحاوى، يقول الطبرى: ثم لما رأى الإمام أمير المؤمنين عثمان بن عفان، رضى اللّه تعالى عنه، اختلاف الناس فى القراءة، و خاف من تفرق كلمتهم، جمعهم على حرف واحد، و هو هذا المصحف الإمام، و استوثقت له الأمة على ذلك، بل أطاعت و رأت أن فيما فعله الرشد و الهداية، و تركت القراءة بالأحرف السبعة، التى عزم عليها إمامها العادل فى تركها، طاعة منها له، و نظرا منها لأنفسها، و لمن بعدها من سائر أهل ملتها، حتى درست من الأمة

(۱) معانى الآثار للطحاوى أحمد بن محمد. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۴۴ معرفتها و عفت آثارها، فلا سبيل اليوم لأحد إلى القراءة بها، لدثورها و عفو آثارها. فإن قال من ضعفت معرفته: و كيف جاز لهم ترك قراءة أقرأهم إياها رسول اللّه، صلى اللّه عليه و سلم، و أمرهم بقراءتها؟ قيل: إن أمره إياهم بذلك لم يكن أمر إيجاب و فرض، و إنما كان أمر إباحة و رخصة. الثانية: و هى تتصل برسم المصحف و بقائه فترة غير منقوط و لا مشكول إلى زمن عبد الملك، حين قام الحجاج بإسناد هذا إلى رجلين، هما: يحيى بن يعمر، و الحسن البصرى، فنقطاه و شكلاه. و ما نرى صحيحا هذا الذى ذهب إليه القرّاء من تأويلات كثيرة، تكاد تحمّل الكلمة عشرين

وجها أو ثلاثين أو أكثر من ذلك، حتى لقد بلغت طرق هذه القراءات للقراءات العشر فقط تسعمائة و ثمانين طريقة. فلقد كان اجتهادا من القراء، و كان إسرافا فى ذلك الاجتهاد. و إنك لو تتبعت ما عقب به الزمخشرى، فى تفسيره على القراء لوجدت له الكثير مما ردّه عليهم و لم يقبله منهم، فلقد عقب على ابن عامر فى قراءته لقوله تعالى: «و كذلك زيّن للمشركين قتل أولادهم شركاؤهم» الأنعام: ۱۳۷- فلقد قرأها ابن عامر «قتل أولادهم شركائهم» برفع القتل، و نصب الأولاد، و جر الشركاء، على إضافة القتل إلى الشركاء و الفصل بينهما بغير الظرف. فقال الزمخشرى: فهذا لو كان فى مكان الضرورات- و هو الشعر- لكان شيئا مردودا، فكيف به فى الكلام المنثور؛ فكيف به تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۴۵ فى القرآن المعجز بحسن نظمه و جزالته. و الذى حمله على ذلك أن رأى فى بعض المصاحف «شركائهم» مكتوبا بالياء. و يعقب الزمخشرى مرة أخرى على أبى عمرو حين يدغم الراء فى اللام، فى قوله تعالى فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ- البقرة: ۲۸۴، آل عمران: ۱۲۹، المائدة: ۲۰ و ۴۳، الفتح: ۱۴- فيقرؤها أبو عمرو: «فيغفر لمن يشاء». و يقول الزمخشرى: و مدغم الراء فى اللام لاحن مخطئ خطأ فاحشا، و راويه عن أبى عمرو مخطئ مرتين، لأنه يلحن و ينسب إلى أعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم. و كذلك تتبع ابن قتيبة القراء و أحصى لهم الكثير، و فى ذلك يقول: و ما أقل من سلم من هذه الطبقة فى حرفه من الغلط و الوهم «۱». و نحن حين نمكن لهذه القراءات أن تعيش نكون كمن يحاول أن يخرج على ما أراده عثمان، و معه علىّ من قبل، ثم الصحابة، على وحدة القرآن تلاوة. هذا بعد أن صح لنا أن هذه القراءات اجتهاد، و أن رسم المصحف و إهماله نقطا و شكلا جرّ إلى شىء منها. يقول ابن قتيبة و هو يناقش بعض القراءات: و ليست تخلو هذه الحروف من أن تكون على مذهب من مذاهب أهل الإعراب فيها، أو أن تكون غلطا من الكاتب.

(_____ ۱) تأويل مشكل القرآن (ص: ۴۳).

تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۴۶ فإن كانت على مذهب النحويين، فليس هاهنا لحن، بحمد اللّه. و إن كانت خطأ فى الكتابة، فليس على اللّه و لا- على رسوله، صلى اللّه عليه و سلم، جناية الكاتب فى الخط. و لو كان هذا عيبا يرجع على القرآن لرجع عليه كل خطأ وقع فى كتابة المصحف من طريق التهجى، فقد كتب فى الإمام: «إن هذن لساحران «۱»»، بحذف ألف التثنية. و كذلك ألف التثنية تحذف فى هجاء هذا المصحف فى كل مكان. و كتب كتّاب المصحف: الصلاة، و الزكوة و الحيوة، بالواو؛ و اتبعناهم فى هذه الحروف خاصة على التيمن بهم «۲» فنحن إذن بين رسم لكتّاب كان ما رسموا آخر الجهد عندهم، و لقد حفظ اللّه كتابه بالحفظة القارئين أكثر مما حفظه بالكتّاب الكاتبين، ثم كانت إلى جانب الحفظ حجة أخرى على الرسم، و هى لغة العرب، أقامت الرسم لتدعيم الحفظ، و لم تقم الحفظ لتدعيم الرسم، و كان هذا ما عناه عثمان: أرى فيه لحنا و ستقيمه العرب بألسنتها. و لقد أقامته بألسنتها، و تركت الرسم على حاله ممثلا فى مصحفه الإمام، الذى كان حريصا على أن تجتمع عليه الأمة الإسلامية. من أجل ذلك أحرق ما سواه. غير أن ما فعله عثمان لم يقض على كل خلاف، و أوسع فى هذا الخلاف بقاء المصحف الإمام غير منقوط و لا مشكول، كما قلت لك. من أجل ذلك كان أول شىء عمله الحجاج، بعد ما فرغ من نقط

(_____ ۱) طه: ۶۳. (۲) تأويل مشكل القرآن (ص: ۴۰، ۴۱). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۴۷ المصحف و شكله، أن و كل إلى عاصم الجحدرىّ، و ناجية بن رمح، و علىّ بن أصمع، أن يتتبعوا المصاحف، و أن يقطعوا كل مصحف يجدونه مخالفا لمصحف عثمان، و أن يعطوا صاحبه ستّين درهما. و فى ذلك يقول الشاعر: و إلّا رسوم الدار قفرا كأنها كتاب محاه الباهلى ابن أصمعا «۱» و نحن اليوم فى أيدينا هذا المصحف الإمام أقوى ما يكون ضبطا، و أصح ما يكون شكلا، فما أغنانا به عن كل قراءة لا يحملها رسمه، و لا يشير إليها ضبطه، من تلك القراءات التى كانت تلك حالها التى بسطتها لك. الثالثة: و هى التى تتصل بإحلال كلمة مكان كلمة، أو تقديم كلمة على كلمة، أو زيادة أو نقصان. و ما أظن هذه تكون كلمة تذكر بعد أن أصبح فى أيدينا المصحف الإمام، هيأه لنا عثمان فى الأولى، و زفّه إلينا الحجاج فى الثانية، و ما كان هذان العملان إلا- خطوتين: خطوة تدعم خطوة فى سبيل الوحدة الكاملة لكتاب اللّه، كما حفظه اللّه على لسان

الحفظة من الصحابة و التابعين. و أحب أن أختم الحديث عن القراءات بقول الزّركشى فى كتابه «البرهان»، يقول الزركشى: القرآن و القراءات حقيقتان متغايرتان (_____. ۱)

تأويل مشكل القرآن (ص: ۳۷). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۴۸ فالقرآن هو الوحى المنزّل على محمد، صلى اللّه تعالى عليه و سلم، للبيان و الإعجاز. و القراءات السبع متواترة عند الجمهور. و قيل: بل مشهورة. و التحقيق أنها متواترة عن الأئمة السبعة. أما تواترها عن النبى، صلى اللّه عليه و سلم، ففيه نظر. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۴۹

۱۸- رسم المصحف

۱۸- رسم المصحف و من الناظرين فى رسم القرآن فريق صرفهم الإجلال له عن أن يفصلوا بين ما هو وحى من عند اللّه حرّك به لسان رسوله، و بين ما صوّره كتّاب الرسول حروفا و كلمات. و أنت تعرف أن الكلمة الواحدة قد تختلف صورة رسمها على أيدى كتبة يستملون عن ممل واحد، إذا اختلفت طرق تلقيهم للإملاء، غير أنهم حين يلفظون هذه الكلمة مجمعون على نطق واحد. و ما من شك فى أن القرآن الكريم تعرّض رسمه لهذا الخلاف، و كان حفظ اللّه له فى بقاء حفظته، يعى الناس عنهم أكثر ما يعون عن القراءة، و كانوا بهذا مطمئنين؛ و حين عدت العاديات على الحفظة بدأ الخوف يدبّ، و بدأ تفكير الصحابة يتجه إلى ما هو أبقى، أعنى جمع القرآن مكتوبا. و كانت محاولة أبى بكر و عمر التى مرت بك، و اجتمع للناس قرآنهم مكتوبا، و بدأ شغلهم بما هو مكتوب يزحم شغلهم بما هو متلوّ، أو يعادله. و أخذ الرسم يملى برسمه و يقوّمه الحفظ، فى فترة لم يكن الصحابة فيها أبعدوا كثيرا عن فترة نزول القرآن. و ما كانت الأمة العربية عهد كتابة الوحى أمة عريقة فى الكتابة، و ما كان كتاب النبى إلا صورة من العصر البادئ فى الكتابة، و لم تكن الكتابة العربية على حالها اليوم من التجويد و الكمال إملاء و رسما. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۵۰ و نظرة فى رسم المصحف، و ما يحمل من صور إملائية تخالف ما استقر عليه الوضع الإملائى أخيرا، تكشف لك عما كان العرب عليه إملاء، و عما أصبحنا عليه نحن إملاء. و حين أطل عهد عثمان كاد اختلاف الناس فى قراءة المرسوم يجرّ إلى خروجهم على المحفوظ، من أجل هذا فزع عثمان إلى نفر من الصحابة كتبوا للرسول وحيه، ليدركوا هذا المرسوم، كى يخرجوا منه بصورة خطية تصور ما أجمع عليه الحفّاظ. و قد لا يفوتك أن الخط العربى، عصر كتابة الوحى إلى أيام عبد الملك بن مروان، لم يكن عرف النقط المميز للحروف فى صورته الأخيرة، كما لم يكن عرف شكل الكلمات، و بقى المصحف المرسوم ينقصه النقط فى صورته الأخيرة و ينقصه الشكل، و عاش يحميه حفظ الحفّاظ له من اللحن. غير أن الأمة العربية كانت قد انتشرت، و أظل الإسلام تحت لوائه أمما مختلفة، و أصبح الحفظ فى هذه البيئة الواسعة، و بين هؤلاء الأقوام المختلفين، لا يغنى غناءه أيام أن كانت البيئة محدودة و الأقوام غير مختلفين، من هنا كان لا بدّ من نقط و شكل على يد الحجّاج، كما مر بك. و لقد كانت هذه المراحل التى مرّ بها جمع القرآن و كتابته و نقطه و شكله نتيجة لقصور الكتابة العربية و الخط العربى. إذ لو كانت فى كما لهما اليوم لما احتاج القرآن فى رسمه إلى مرحلة بعد مرحلة، و لكتب يوم أن كتب للمرة الأولى فى صورة أخيرة. و نحن بحمد اللّه، على الرغم من بعد عهدنا بنزول القرآن، لم نبعد تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۵۱ عن وعيه كما أنزل، تصديقا لقوله تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ «۱»، غير أنه يجب أن يلفتنا إلى قرآننا ما لفت الشيخين عمر و أبا بكر إليه، ثم ما لفت عثمان إليه، ثم ما لفت الحجاج إليه. فهذه لفتات أحسّ فيها أصحابها الخوف من أن يمس القرآن سوء، جمعوه للناس مكتوبا يوم أن خافوا ذهاب الحفاظ، ثم أجمعوا على مصحف واحد يوم أن خافوا تفرق الناس على مصاحف، ثم نقطوه و ضبطوه يوم أن خافوا أن يتفرق الناس فى قراءته. هذه كلها خطوات واعية من أناس و اعين، بإلهام ربّ معين. و أخشى ما نخشاه نحن اليوم، أو بعد اليوم، أن يبقى القرآن برسمه القديم الذى يختلف و إملاء العصر فيخلق بهذا بلبلة على الألسن، و ما نحن فى كل بيئة نملك حفّاظا يضبطون الألسنة عن أن تلتوى، و إن ملكنا فى كل بيئة حفّاظا فمحال أن يجد كل قارئ حافظا إلى جواره. يجب أن نخاف ما خافه السلف، و يجب أن نحتاط كما احتاط السلف، و يجب أن

نفصل بين وحى اللّه و أقلام الكتاب. و ما أظن أن تيمننا بخط من سلف يغرينا بمزيد من حرص عليه قد يجرّنا إلى ما لا نحب. كما لا أظن أن شيئا كهذا يثير بين الناظرين فى رسم القرآن جدلا، فالحق فيه بيّن، و قد نادى السلف العالمون العالمون، ممن قدّمت لهم نقولا- فى ذلك «۲ (_____». ۱) الحجر: ۹.

(۲) الفرقان، لابن الخطيب (۵۷- ۹۱). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۵۲

۱۹- كتابة المصحف و طبعه

۱۹- كتابة المصحف و طبعه مرّ بك كيف كان الوحى يكتب، و على أى شىء كان يكتب، ثم من كانوا كتّابه. و مرّ بك أيضا كيف جمعه أبو بكر و عمر، ثم كيف كتب عثمان مصحفه الإمام، و أرسل منه مصاحف أربعة إلى الأمصار: مكة، و البصرة، و الكوفة، و الشام، و أنه أبقى اثنين آخرين فى المدينة، اختص نفسه بواحد منهما. و منذ أن دخلت هذه المصاحف الأمصار أقبل المسلمون ينسخونها، و لقد نسخوا منها عددا كثيرا، لا شك فى ذلك. فنحن نقرأ للمسعودى و هو يتكلم على وقعة صفين، التى كانت بين على و معاوية، و ما أشار به عمرو بن العاص من رفع المصاحف، حين أحس ظهور علىّ عليه: و رفع من عسكر معاوية نحو من خمسمائة مصحف «۱». و ما نظن هذا العدد الذى رفع من المصاحف فى معسكر معاوية كان كل ما يملكه المسلمون حينذاك، و الذى نظنه أنه كان بين أيدى المسلمين ما يربى على هذا العدد بكثير، هذا و لم يكن قد مضى على كتابة عثمان لمصحفه الإمام و إرساله إلى الأمصار ما يزيد على سنين سبع (_____. ۱)

مروج الذهب (۲: ۲۰). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۵۳ و الجديد الذى أحب أن أسوقه هنا، نقلا عمن نظروا فى نشأة الخط العربى «۱»: أن العرب كانوا قبيل الإسلام يكتبون بالخط الحيرى- نسبة إلى الحيرة- ثم سمى هذا الخط بعد الإسلام بالخط الكوفى. و هذا الخط الكوفى فرع- كما يقولون- من الخط السريانى، و أنه على الأخص طور من أطوار قلم للسريان كانوا يسمونه «السطرنجيلى»، و كان السريان يكتبون به الكتاب المقدس، و عن السريان انتقل إلى العرب قبل الإسلام، ثم كان منه الخط الكوفى، كما ذكرت لك. و لقد كان للعرب إلى جانب هذا القلم الكوفى قلم نبطى، انتقل إليهم من حوران مع رحلاتهم إلى الشام. و عاش العرب و لهم هذان القلمان: الكوفى و النبطى، يستخدمون الكوفى لكتابة القرآن، و يستخدمون النبطى فى شئون أخرى. و بالخط الكوفى كان كتب المصاحف، غير أنه كان أشكالا، و استمر ذلك إلى القرن الخامس تقريبا، ثم ظهر الخط الثلث، و عاش من القرن الخامس إلى ما يقرب من القرن التاسع، إلى أن ظهر القلم النسخ، الذى هو أساس الخط العربى إلى اليوم. فلقد كتب القرآن بالكوفى أيام الخلفاء الراشدين، ثم أيام بنى أمية، و فى أيام بنى أمية صار هذا الخط الكوفى إلى أقلام أربعة. (_____ ۱) كشف الظنون (۱: ۷۱۰- ۷۱۴)

فهرست ابن النديم (۲۴- ۲۶). الخط العربى لخليل نامى، تاريخ الخط العربى لمحمد طاهر الكردى. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۵۴ و يعزون هذا التشكل فى الأقلام إلى كاتب اسمه قطبة، و كان كاتب أهل زمانه، و كان يكتب لبنى أمية المصاحف. و فى أوائل الدولة العباسية ظهر الضحاك بن عجلان، و من بعده إسحاق بن حماد، فإذا هما يزيدان على قطبة، و إذا الأقلام العربية تبلغ اثنى عشر قلما: قلم الجليل، قلم السجلات، قلم الديباج، قلم اسطورمار الكبير، قلم الثلاثين، قلم الزنبور، قلم المفتتح، قلم الحرم، قلم المؤامرات، قلم العهود، قلم القصص، قلم الحرفاج. و حين ظهر الهاشميون حدث خط يسمى: العراقى، و هو المحقن. و لم تزل الأقلام تزيد إلى أن انتهى الأمر إلى المأمون فأخذ كتّابه بتجويد خطوطهم، و ظهر رجل يعرف بالأحول المحرر، فتكلم على رسوم الخط و قوانينه و جعله أنواعا. ثم ظهر قلم المرصع، و قلم النساخ، و قلم الرياس، نسبة إلى ذى الرئاستين الفضل بن سهل، و قلم الرقاع، و قلم غبار الحلبة. فزادت الخطوط على عشرين شكلا و لكنها، كلها من الكوفى. حتى إذا ما ظهر ابن مقلة «۳۲۸ ه» نقل الخط من صورة القلم الكوفى إلى صورة القلم النسخى، و جعله على قاعدة جميلة كانت أساسا لكتابة المصاحف. و ينقل المقرى عن ابن خليل السكونى

أنه شاهد بجامع العديس بإشبيلية ربعة مصحف فى أسفار ينحى به لنحو خطوط الكوفة، إلا أنه أحسن خطّا و أبينه و أبرعه و أتقنه، و أن أبا الحسين بن الطفيل بن عظيمة قال له: هذا خط ابن مقلة. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۵۵ ثم يقول المقرى و قد رأيت بالمدينة المنورة، على ساكنها أفضل الصلاة و السلام، مصحفا بخط ياقوت المستعصمى «۱». و لقد كانت وفاة ياقوت هذا سنة ۶۹۸ ه، و كان سباقا فى هذا الميدان. و يقول محمد بن إسحاق: أول من كتب المصاحف، فى الصدر الأول، و يوصف بحسن الخط: خالد بن أبى الهياج. رأيت مصحفا بخطه. و كان سعد نصبه لكتب المصاحف و الشعر و الأخبار للوليد بن عبد الملك، و هو الذى كتب الكتاب الذى فى قبلة مسجد النبى، صلى اللّه عليه و سلم، بالذهب، من وَ الشَّمْسِ وَ ضُحاها إلى آخر القرآن. و يقال: إن عمر بن عبد العزيز قال له: أريد أن تكتب لى مصحفا على هذا المثال. فكتب له مصحفا تنوّق فيه. فأقبل عمر يقلبه و يستحسنه، و استكثر ثمنه فردّه عليه. و مالك بن دينار، مولى أسامة بن لؤى بن غالب، و يكنى: أبا يحيى. و كان يكتب المصاحف بأجر. و مات سنة ثلاثين و مائتين. ثم أورد ابن إسحاق نفرا من كتاب المصاحف بالخط الكوفى و بالخط المحقق المشق، و قد رآهم جميعا. و الذى لا شك فيه أن هذه الأقلام المختلفة تبارت فى كتابة المصحف، كما كتب بأقلام غير هذه، ذكر منها الكردى فى كتابه «تاريخ الخط

(_____ ۱) نفح الطيب (۶ : ۴۰). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۵۶ العربى» قلمين، هما: سياقت، و شكسته، و أورد لهما نماذج، فارجع إليه إن شئت. و ظلت المصاحف على هذه الحال إلى أن ظهرت المطابع سنة ۱۴۳۱ م، و كان أول مصحف طبع بالخط العربى فى مدينة همبرج بألمانيا، ثم فى البندقية فى القرن السادس عشر الميلادى. و حين أخذت المطابع تشيع كثر طبع المصحف، إذ هو كتاب المسلمين الأول و عليه معتمدهم. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۵۷

۲۰- تجزئة المصحف

۲۰- تجزئة المصحف و لقد سقنا لك الحديث عن عدد سور القرآن، و عدد كلماته، و عدد حروفه، و ما نظن هذا كله بدأ مع السنين الأولى أيام كان المسلمون مشغولين بجمع القرآن و تدوينه، عهد أبى بكر و عمر ثم عهد عثمان، و ما نظنه إلا تخلّف زمنا بعد هذا إلى أيام الحجاج. و لقد كان المسلمون و الوحى لا يزال متصلا يختصون يومهم بنصيب من القرآن، يخلون إلى أنفسهم ساعة من يومهم هذا يتلون فيها ما تيسر، يفرض كل منهم على نفسه جزءا بعينه، و إلى هذا يشير ما روى عن المغيرة بن شعبة، قال: استأذن رجل على رسول اللّه، صلى اللّه عليه و سلم، و هو بين مكة و المدينة، فقال: إنه قد فاتنى الليلة جزئى من القرآن فإنى لا أوثر عليه شيئا «۱». و ما نشك فى أن هذه التجزئة كانت فرديّة، أى إن مرجعها كان لكل فرد على حدة. و نكاد نذهب إلى أنها لم تكن على التساوى. و هذه التجزئة، التى أخذ فيها المسلمون مبكرين ليجعلوا للقرآن حظّا من ساعات يومهم حتى لا يغيبوا عنه فيغيب عنهم، و حتى ييسروا على أنفسهم ليمضوا فيه إلى آخره أسبوعا بعد أسبوع، أو شهرا بعد شهر، هذه التجزئة الأولى غير المضبوطة هى التى أملت على المسلمين بعد فى أن يأخذوا فى تجزئة القرآن تجزئة تخضع لمعايير مضبوطة، و لم يكن عليهم ضير فى أن يفعلوا.

(_____ ۱) المصاحف (ص: ۱۱۸). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۵۸ عند هذه، و بعد أن استوى المصحف بين أيديهم مكتوبا، كان عدّ السور و عدّ الكلمات و عدّ الآيات. و لا يدفع هذا أن المسلمين الأوّل أيام الرسول كانوا بعيدين البعد كله عن هذا كله، بل إن ما نعنيه هو الإحصاء المستوعب الشامل، و أما غيره فما نظننا ننكره على المسلمين الأول، من ذلك ما روى عن ابن مسعود أنه قال: أقرأنى رسول اللّه، صلى اللّه عليه و سلم، سورة من الثلاثين من آل حم. يعنى: الأحقاف. و أزيدك بعد هذا شيئا أنقله لك عن السيوطى لتشاركنى رأيى، قال السيوطى: كانت السورة إذا كانت أكثر من ثلاثين آية سمّيت الثلاثين «۱». و أرانى قد ذكرت لك فى بدء هذا الحديث أن هذا الاستيعاب الشامل لم يكن إلا مع أيام الحجاج، و أحب أن أسوق إليك دليلى عليه: يروى أبو بكر السجستانى، يقول: جمع الحجاج بن يوسف الحفاظ و

القراء، و كان فيهم أبو محمد الحمانى راشد بن نجيح، فقال الحجاج: أخبرونى عن القرآن كله كم هو من حرف؟ قال أبو محمد: فجعلنا نحسب حتى أجمعوا أن القرآن ثلاثمائة ألف حرف و أربعين ألفا و سبعمائة و نيف و أربعين حرفا. قال الحجاج: فأخبرونى إلى أى حرف ينتهى نصف القرآن. فحسبوا فأجمعوا أنه ينتهى فى الكهف «و ليتلطف»- الآية: ۱۹- فى الفاء. قال الحجاج: فأخبرونى بأسباعه على الحروف (_____؟ ۱) الإتقان (۱: ۶۶). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۵۹ قال أبو محمد: فإذا أول سبع فى النساء فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ صَدَّ- الآية: ۵۵- فى الدال. و السبع الثانى فى الأعراف أولئك حَبِطَتْ- الآية: ۱۴۷- فى التاء. و السبع الثالث فى الرعد أُكُلُها دائِمٌ- الآية: ۳۵- فى الألف آخر «أكلها» الآية: ۳۲. و السبع الرابع فى الحج لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنا مَنْسَكاً- الآية: ۳۴- فى الألف. و السبع الخامس فى الأحزاب وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لا مُؤْمِنَةٍ- الآية: ۳۶- فى الهاء. و السبع السادس فى الفتح الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ- الآية: ۶- فى الواو. و السابع ما بقى من القرآن. قال الحجاج: فأخبرونى بأثلاثه؟ قالوا: الثلث الأول رأس مائة من براءة. و الثلث الثانى رأس إحدى و مائة آية من طسم الشعراء. و الثلث الثالث ما بقى من القرآن. ثم سألهم الحجاج عن أرباعه، فإذا أول ربع خاتمة سورة الأنعام. و الربع الثانى الكهف و ليلطف- الآية: ۱۹- و الربع الثالث خاتمة الزمر. و الربع الرابع ما بقى من القرآن. كانت هذه نظرة الحجّاج مع القراء و الحفاظ، و كانت تجزئته للقرآن لوفق عدد حروفه، و لقد رأيناه كيف جزأه نصفين، ثم أسباعا، ثم أثلاثا، ثم أرباعا. و ما نظن الحجاج كان يستملى فى هذه التجزئة إلا عن تفكير فى التيسير، فجعله نصفين على القارئ المجد، ثم أثلاثا على اللاحق، ثم أرباعا على من يتلو اللاحق، ثم أسباعا على من يريد أن يتمه فى أسبوع، و كانت تلك هى النهاية التى أحبها الحجاج للمسلمين، و كأنه لم يحب لهم أن يتجاوزوها، لذلك لم يمض مع القرّاء و الحفاظ تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۶۰ يسألهم عما بعدها. و نحن نعلم أن الحجاج كان يقرأ القرآن كله فى كل ليلة «۱». و حين نظر الحجاج فى القرآن يجزئه هذه التجزئة التى تحدها الحروف، بدأ غيره من بعده ينظرون فى تجزئة القرآن تجزئة تمليها الآيات، فقسموه أنصافا و أثلاثا و أرباعا و أخماسا و أسداسا و أسباعا و أثمانا و أتساعا و أعشارا. و ما نظن هؤلاء الذين جاءوا فى إثر الحجاج بهذه التجزئة، التى تخالف تجزئة الحجاج، كانوا يستملون إلا عن مثل ما استملى الحجاج عنه، و هو التيسير، ثم الإرخاء فى هذا التيسير، ثم تخصيص كل يوم بنصيب لا يزيد و لا ينقص، و كان أقصى ما أرادوه لكل مسلم أن يتم قراءة القرآن فى أيام لا تعدو العشرة. و لقد مرّ بك قبل عند الكلام على عد آيات القرآن ما كان من خلاف فى عدّ الآيات يسير علمت سببه، و أحبك أن تعلم أن هذا الخلاف اليسير فى عدّ الآيات جر إلى خلاف يسير فى هذه التجزئة. و إذ كانت فكرة الحجّاج، و فكرة من جاء بعد الحجّاج، فى تجزئة القرآن هى التيسير على التالى- كما أرى- و كان الحجّاج متشددا، متشددا على نفسه أولا، كما رأيت، فلم يجاوز فى تيسيره إلى غير سبعة أيام، و لكن من جاءوا بعد الحجّاج لم يكونوا على تشدد الحجّاج فأرخوا شيئا فى التيسير و زادوها إلى عشرة (_____. ۱) المصاحف (ص ۱۱۹- ۱۲۰). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۶۱ و ما وقف التيسير عند هذا الحد الذى انتهى إليه من جاءوا فى إثر الحجّاج، بل نرى الميسّرين أرخوا للقارئين إلى أن بلغوا بهم الثلاثين، فإذا القرآن يجزّأ إلى ثلاثين جزءا. غير أن هذه المراحل التى جاءت بعد الحجّاج لم تتم فى يوم و ليلة، بل امتدت بامتداد الأيام، و لقد كانت وفاة الحجّاج فى العام الخامس و التسعين من الهجرة، و نرى السجستانى يروى أخباره فى تجزئة القرآن تلك التجزئة الثانية عن رواة تنحصر وفاتهم فى القرن الثانى للهجرة. ثم نرى ابن النديم، و هو يتكلم عن الكتب المؤلفة فى أجزاء القرآن، يذكر لنا: ۱- كتاب أسباع القرآن، لحمزة بن حبيب بن عمارة الزيات. و لقد كانت وفاة حمزة سنة ۱۵۸ ه. ۲- كتاب أجزاء ثلاثين، عن أبى بكر بن عياش، و لقد كانت وفاة أبى بكر بن عياش سنة ۱۹۳ ه «۱». و ما يعنينا الكتاب الأول، فلقد علمنا أن تجزئة القرآن أسباعا، كانت على يد الحجّاج حروفا، و قد تكون على يد حمزة آيات، أقول: لا تعنينى هذه و لكن تعنينى الثانية، فهى تدلنا على أن تجزئة القرآن إلى ثلاثين جزءا، و هى التجزئة التى عليها مصاحفنا اليوم، تجزئة قديمة انتهت إلى أبى بكر، بهذا يشعرنا أسلوب ابن النديم، إذ لم يعز الكتاب لأبى بكر، و إنما قال: عن أبى بكر.

(_____ ۱) الفهرست (ص: ۵۵) طبعة مصر.

تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۶۲ إذن فتجزئة القرآن ثلاثين جزءا لم تغب عن القرن الثانى الهجرى، و لا يبعد أن تكون دون منتهاه بكثير، فلقد كان مولد أبى بكر سنة ست و تسعين من الهجرة، و الرجل يصلح للتلقى و الرواية مع الخامسة و العشرين من عمره، أى إن أبا بكر كان رجل رواية و تلقّ مع العام العشرين بعد المائة الأولى من الهجرة. و هذه التجزئة الأخيرة، أعنى تجزئة القرآن ثلاثين جزءا، هى التجزئة التى غلبت و عاشت، و لعل ما ساعد على غلبتها يسرها، ثم ارتباطها بعدد أيام الشهر، و نحن نعلم كم تجد هذه التجزئة إقبالا عظيما فى شهر رمضان من كل عام. و ما نظن الذين جزّءوا انتهوا إلى هذه التجزئة الأخيرة فى مرحلة واحدة متجاوزين التجزئة العشرية إلى التجزئة الثلاثينية، و الذى نقطع به أنه كانت ثمة تجزئات بين هاتين المرحلتين لا ندرى تدرّجها، و لكن يعنينا أن نقيد أن ثمة تجزئة تقع فى عشرين جزءا، تحتفظ بها مكتبة دار الكتب. و بهذه التجزئة- أى إلى ثلاثين جزءا- أصبح القرآن يعرض أجزاء منفصلة، كل جزء على حدة، و أصبحنا نراه فى المساجد، لا سيما فى شهر رمضان، محفوظا فى صناديق بأجزائه المتمّة الثلاثين، كل مجموعة فى صندوق، يقدّمه الراغبون فى الثواب إلى الوافدين إلى المساجد رغبة فى تلاوة نصيب من القرآن. و أصبح يطلق على هذه الأجزاء المتمة الثلاثين اسم ربعة. و الربعة فى اللغة: الصندوق، أو الوعاء من جلد. و لعل تسمية الأجزاء المتمة الثلاثين بهذا الاسم جاءت من إطلاق المحل على الحال فيه. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۶۳ و لكن هذا التيسير الأخير جرّ إلى تيسير آخر يتصل به، و ما نشك فى أن الدافع إليه كان التيسير على الحافظين، بعد أن كان التيسير على القارئين، و فرق بين أن ييسر على قارئ و بين أن ييسّر على حافظ. من أجل هذه، فيما نظن، كان تقسيم الأجزاء المتمة الثلاثين إلى أحزاب، كل جزء ينقسم إلى حزبين، ثم تقسيم الحزب إلى أرباع، كل حزب ينقسم إلى أربعة أرباع. و على هذا التقسيم الأخير طبعت المصاحف، و اعتمد هذا التقسيم، على الجانب الراجح بين القرّاء فى عدد الآيات، فأنت تعلم هذا الخلاف الذى بينهم. فالمدنيون الأول يعدون آيات القرآن ۶۰۰۰ آية و المدنيون المتأخرون يعدون آيات القرآن ۶۱۲۴ آية و المكيون المتأخرون يعدون آيات القرآن ۶۲۱۹ آية و الكوفيون يعدون آيات القرآن ۶۲۶۳ آية و البصريون يعدون آيات القرآن ۶۲۰۴ آية و الشاميون يعدون آيات القرآن ۶۲۲۵ آية و فى هذا الخلاف كان ثمة ترجيح و ثمة اتفاق و ثمة تغليب. و قد انبرى لهذه السّفاقسى فى كتابه «غيث النفع». و لقد اعتمد السفاقسى على رجلين سبقاه فى هذه الصناعة. هما: أبو العباس أحمد بن محمد بن تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۶۴ أبى بكر القسطلانى، فى كتابه «لطائف الإشارات فى علم القراءات»، و القادرىّ محمد، فى كتابه «مسعف المقرئين و معين المشتغلين بمعرفة الوقف و الابتداء»، و انتهى إلى الرأى الراجح أو المتفق عليه، و بهذا أخذ الذين أشرفوا على طبع المصحف طبعته الأخيرة فى مصر، و خرج يحمل الاشارات الجانبية الدالة على مكان الأجزاء و الأحزاب و أرباع الأحزاب. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۶۵

۲۱- الاستعاذة و البسملة

۲۱- الاستعاذة و البسملة و لا خلاف بين العلماء أن القارئ للقرآن مطلوب منه عند البدء فى القراءة أن يتعوذ، و الصيغة المختارة للتعوذ هى: أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم. و عند الجمهور أن التعوذ على الندب لا على الوجوب. ثم لا خلاف بين العلماء فى الجهر بها عند البدء فى القراءة، لأنها شعارها. و لا بدّ من قراءة البسملة أول كل سورة، تحرزا على مذهب الشافعى. و قد اختلف العلماء فى البسملة على ثلاثة أقوال: ۱- أنها ليست بآية، لا من الفاتحة و لا من غيرها، و هو قول مالك. ۲- أنها آية من كل سورة، و هو قول عبد اللّه بن المبارك. ۳- أنها آية من الفاتحة، و هو قول الشافعى. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۶۶

۲۲- الناسخ و المنسوخ

۲۲- الناسخ و المنسوخ النسخ، لغة: إبطال الشىء و رفعه. و المتكلمون عن النسخ فى القرآن يجعلونه على ثلاثة أضرب: ۱- ما نسخ

خطه و حكمه. و يروون فى ذلك عن أنس أنه قال: كنا نقرأ على عهد رسول اللّه، صلى اللّه عليه و سلم، سورة تعدلها سورة التوبة، ما أحفظ منها غير آية واحدة «و لو لا أن لابن آدم واديين من ذهب لابتغى إليها رابعا، و لا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب و يتوب اللّه على من تاب». كما يروون عن ابن مسعود أنه قال: أقرأنى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم آية فحفظتها و كتبتها فى مصحفى، فلما كان الليل رجعت إلى مصحفى فلم أرجع منها بشىء، و غدوت على مصحفى فإذا الورقة بيضاء. فأخبرت النبى صلى اللّه عليه و سلم، فقال لى: يا ابن مسعود، تلك رفعت البارحة. و هذا عندى قسم يكاد سرده يدل عليه و يكشف عن سقوطه، فما أجلّ اللّه حكيما عليما، و ما كانت الرسالة تجربة بشرية يجوز عليها تعديل أو الوقوع فيما سينقض بعد حين. و لقد كان الرسول يحدث المسلمين بحديثه، و يقرأ عليهم وحى السماء، و لقد كان عليه السلام يعارضهم ما حملوه عنه على التوالى، حرصا على سلامة الوحى من أن يختلط به غيره، و كم من سامع خلط ما بين ما هو وحى و بين ما هو حديث للرسول، و لكنه كان بعد حين قليل مردود إلى السلامة حين تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۶۷ يلقى بما عنده الرسول، أو يلقى صحابيا على بصيرة بما هو وحى و ما هو حديث. و سرعان ما كانت تستقيم الأمور، و سرعان ما كان يبين هذا من ذاك، حتى إذا ما حان أن يقبض اللّه إليه رسوله كانت العرضة الأخيرة للقرآن، و لم تكن إلا لهذا و مثله. ۲- ما نسخ خطه و بقى حكمه. و يروون لهذا خبرا عن عمر بن الخطاب يقول: لو لا أنى أكره أن يقول الناس: قد زاد فى القرآن ما ليس فيه لكتبت آية الرجم و أثبتها، فو اللّه لقد قرأناها على رسول اللّه، صلى اللّه عليه و سلم: «لا ترغبوا عن آبائكم فإن ذلك كفر بكم. الشيخ و الشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من اللّه و اللّه عزيز حكيم». و أحسب أن عمر، لو صح هذا عنه، و أنه سمعها عن الرسول، ما تخلف عن أن يكتبها، ثم أ لم يسمعها مع عمر غيره فيجعل منه شاهدا معه، إن كان عمر لا يرى أنه وحده مجزئ، اللهم إن هذا ينقض علينا ذاك التحرى فى الجمع الذى قام به الصحابة، و ينقض علينا تلك المعارضات التى كانت تتم بين السول و القارئين، و ينقض علينا التفكير السليم. و ما نحب لمن يعالج ما يتصل بكتاب اللّه إلا أن يكون ذا تفكير سليم. ۳- ما نسخ حكمه و بقى خطه. و هذا شىء يقتضيه التشريع و الانتقال من حكم إلى حكم، مثال ذلك الآيات التى تتصل بالقبلة، و التى انتهت بقوله تعالى يخاطب نبيّه فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ «۱»، و كانت قبلها فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ «۲».

(_____ ۱) البقرة: ۱۵۰. (۲) البقرة: ۱۱۵.

تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۶۸ و مثل قوله تعالى إِنَّما حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَ الدَّمَ وَ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ «۱» فجاء قوله عليه الصلاة و السلام: «أحلت لنا ميتتان و دمان السمك و الجراد و الكبد و الطحال» يستثنى شيئا من الميتة المذكورة فى القرآن. و قد عد الناظرون فى هذا نحوا من ۱۴۴، منها: (۱) ثلاثون آية فى البقرة (۲) عشر آيات فى آل عمران (۳) أربع و عشرون آية فى النساء (۴) تسع آيات فى المائدة (۵) خمس عشرة آية فى الأنعام (۶) آيتان فى الأعراف (۷) ست آيات فى الأنفال (۸) إحدى عشر آية فى التوبة (۹) ثمانى آيات فى يونس (۱۰) أربع آيات فى هود (۱۱) آيتان فى الرعد (۱۲) آية فى إبراهيم (۱۳) خمس آيات فى الحجر (۱۴) أربع آيات فى النحل (۱۵) ثلاث آيات فى بنى إسرائيل (۱۶) آية فى الكهف (۱۷) خمس آيات فى مريم (۱۸) ثلاث آيات فى طه (۱۹) ثلاث آيات فى الأنبياء (۲۰) ثلاث آيات فى الحج (۲۱) آيتان فى المؤمنون (۲۲) سبع آيات فى النور (۲۳) آيتان فى الفرقان (۲۴) آية واحدة فى النمل (۲۵) آية واحدة فى القصص (۲۶) آية واحدة فى العنكبوت (۲۷) آية واحدة فى الروم (۲۸) آية واحدة فى السجدة (۲۹) آيتان فى الأحزاب (۳۰) آية واحدة فى سبأ (۳۱) آية واحدة فى الملائكة (۳۲) أربع آيات فى الصافات (۳۳) آيتان فى ص (۳۴) ثلاث آيات فى الزمر (_____ ۱) المائدة: ۳.

تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۶۹ (۳۵) آيتان فى حم «المؤمن». (۳۶) آية واحدة فى حم «السجدة». (۳۷) سبع آيات فى الشورى (۳۸) آيتان فى الزخرف (۳۹) آية واحدة فى الدخان (۴۰) آيتان فى الجاثية (۴۱) آيتان فى الأحقاف (۴۲) آيتان فى محمد (۴۳) آيتان فى: ق (۴۴) آيتان فى الذاريات (۴۵) آيتان فى الطور (۴۶) آيتان فى النجم (۴۷) آية واحدة فى القمر (۴۸) آية واحدة فى المجادلة (۴۹) ثلاث آيات فى الامتحان (۵۰) آيتان فى القلم (۵۱) آيتان فى المعارج (۵۲) ست آيات فى المزمل (۵۳) آيتان فى

الإنسان (۵۴) آيـة واحدة فى عبس (۵۵) آيـة واحدة فى التكوير (۵۶) آيـة واحدة فى الطارق (۵۷) آية واحدة فى الغاشـية (۵۸) آية واحـدة فى التين (۵۹) آيـة واحدة فى العصر (۶۰) آيـة واحـدة فى الكـافرون فهـذا بيان الآيات التى فيها نسـخ تسـتطيع أن ترجع إلى تفصـيلها فى كتب النسخ، مثل كتاب «الناسخ و المنسوخ» لأبى القاسم هبة اللّه ابن سـلامة، المتوفى سنة ۴۱۰ من الهجرة، ثم فى كتب التفسير. و سوف نرى أن كـل مـا يتصـل بهـا هو ترتب أحكام اقتضاها التشـريع السـماوى الـذى أملاه نزول القرآن مجزّأ لوفق أحوال المسـلمين و تـدرجهم فى الحيـاة، الأمر الـذى قـدمنا عنه حـديثا عنـد الكلام على نزول القرآن مجزّأ لا- جملـة واحـدة. تـاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۷۰

۲۳- الحروف المقطعة فى أوائل السور

۲۳- الحروف المقطعة فى أوائل السور و يعد المفسـرون هذا من المتشابه فى القرآن الذى لا يعلم تأويله إلا اللّه، غير أن ابن قتيبة يرى أن اللّه لم ينزل شـيئا من القرآن إلا- لينفع به عبـاده، و يـدل به على معنى أراده. و يقول: فلو كـان المتشـابه لا يعلمه غيره للزمنا للطاعن مقال، و تعلّق علينا بعلة. و يمضى ابن قتيبة فى حديثه فيقول: و هل يجوز لأحد أن يقول: إن رسول اللّه، صلى اللّه عليه و سلم، لم يكن يعرف المتشـابه، و إذا جـاز أن يعرفه مع قـوله تعـالى وَ مـا يَعْلَمُ تَـأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ «۱» جـاز أن يعرفه الرّبانيون من صـحابته. فقـد علّم عليّا التفسير. و دعا لابن عباس فقال: اللهم علّمه التأويل و فقّهه فى الـدين. ثم يقول ابن قتيبة: و بعد. فإنا لم نر المفسـرين توقفوا عن شـىء من القرآن فقالوا: هـذا متشابه لا يعلمه إلا اللّه، بل أمرّوه كله على التفسير حتى فسـروا الحروف المقطعـة فى أوائل السور. و يقول ابن قتيبـة فى تفسير قوله تعـالى وَ مـا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ «۱»: فـإن قال قائل: كيف يجوز فى اللغـة أن يعلمه الراسـخون فى العلم، و أنت إذا أشـركت الراسـخين فى العلم انقطعوا عن «يقولون»، و ليست هاهنـا «واو نسق» توجب للراسـخين فعليـن؟ قلنـا لـه: إنّ «يقولـون»، و ليسـت هاهنـا فى معنى الحـال، كـأنه قـال: و الراسـخون فى العلـم قـائلين آمنـا بـه «۳».

(_____ ۱) آل عمران: ۷ (۳) تأويل مشكل القرآن (۷۲- ۷۳). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۷۱ و المفسرون مختلفون فى تفسير هذه الحروف المقطعة. ۱- فمنهم من يجعلها أسـماء للسور، تعرف كل سورة بما افتتحت به منها، فهى أعلام تدل على ما تدل عليه الأسـماء من أعيان الأشياء و تفرق بينها، فإذا قال القائل: قرأت «الص» أو قرأت «ص» أو «ن»، دل بذاك لى ما قرأ. و لا يرد هذا أن بعض هذه الأسماء يقع لعدة سور، مثل حم و الم، إذ من الممكن التمييز بأن يقول: حم السجدة و الم البقرة، كما هى الحال عند وقوع الوفاق فى الأسماء، فتميزها بالإضافات و أسماء الآباء و الكنى. ۲- و يجعلها بعضـهم للقسم، و كأن اللّه عز و جل أقسم بالحروف المقطعة كلها، و اقتصـر على ذكر بعضها من ذكر جميعها، فقال «الم»، و هو يريد جميع الحروف المقطعة، كما يقول القائل: تعلمت «أ ب ت ث»، و هو لا يريد تعلم هذه الأحرف دون غيرها من الثمانيـة و العشـرين. و لقـد أقسم اللّه بحروف المعجم لشـرفها و فضـلها، إذ هى مبـانى كتابه المنزل على رسوله. ۳- و يجعلها بعضـهم حروفـا مـأخوذة من صـفات اللّه تعالى، يجتمع بها فى المفتتح صـفات كثيرة. و يكون هـذا فنّا من فنون الاختصار عنـد العرب. و هـذا الاختصار عنـد العرب كثير، يقول الوليـد بن عقبة من رجز له: تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۷۲ قلت لهـا قفى فقالت قاف أى قالت: قد وقفت، فأومأ بالقاف إلى معنى الوقوف. و على هذا يجعل المفسـرون كل حرف من هذه الحروف يشـير إلى صـفة من صفات اللّه. فيقول ابن عبـاس مثلا- فى تفسـير قوله تعـالى كهيعص: إن الكـاف من كاف، و الهاء من هاد، و الياء، من حكيم، و العين، من عليم، و الصاد، من صادق. هـذا مجمل ما ذهب إليه المفسـرون القـدامى فى معانى هذه الحروف المتقطعة، و فى كل منها مقنع. أما عما ذهب إليه المحـدثون المنصـفون فى هـذا، فحسبك مـا انتهى إليه «على نصوح الطاهر» فى كتابـة «أوائل السور فى القرآن الكريم»، و إليك مجمل ما قال فى خاتمة كتابه: ۱- إن أوائل السور تقوم على حساب الجمل. ۲- إنها تبيّن عدد الآيات المكية أيام كان القرآن يخشى عليه من أعـدائه فى مكـة، من أن يزيـدوا فيه أو أن ينقصـوا منه، و دليله على ذلـك: (ا) أنهـا وردت مع تسع و عشـرين سورة من سور

القرآن. (ب) من هذه السور سبع و عشرون مكية و اثنتان مدنيتان، هما البقرة و آل عمران. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۷۳ (ج) أن هاتين السورتين المدنيتين نزلتا فى أول العهد المدنى، و لم يكن قد استقر أمر المسلمين كثيرا، فهو عهد أشبه بعهد مكة. (د) أنه حين اشتد أمر المسلمين و كانت كثرة من القارئين و الكاتبين لم تكن ثمة فواتح سور. و لقد تتبع فى كتابه «أوائل السور فى القرآن الكريم» سور القرآن الكريم ذات الفواتح، و طابق بين جمّلها و الآيات المكية بها، فإذا هو ينتهى إلى رأى شبه قاطع. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۷۴

۲۴- علوم القرآن

۲۴- علوم القرآن و منذ أن تلقى المسلمون كتاب اللّه عن رسوله و هم به معنيّون. عنى به الأولون عناية جمع، ثم توحيد ما جمع، ثم ضبط و شكل، حتى إذا ما استوى الكتاب فى أيديهم أخذوا ينظرون فيه ليتدبروا معانيه. و قد تمخضت هذه النظرات عن علوم مختلفة حول القرآن اتسعت لها مؤلفات كثيرة. و لقد أحصى ابن النديم فى كتابه الفهرست جملة عقد لها أبوابا، فذكر: ۱- تسمية الكتب التى ألفها العلماء فى قراءته، أى قراءة القرآن. ۲- تسمية الكتب المصنفة فى تفسيره. ۳- الكتب المؤلفة فى معانى القرآن و مشكله و مجازه. ۴- الكتب المؤلفة فى غريب القرآن. ۵- الكتب المؤلفة فى لغات القرآن. ۶- الكتب المؤلفة فى القراءات. ۷- الكتب المؤلفة فى النقط و الشكل للقرآن. ۸- الكتب المؤلفة فى لامات القرآن. ۹- الكتب المؤلفة فى الوقف و الابتداء فى القرآن. ۱۰- الكتب المؤلفة فى اختلاف المصاحف. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۷۵ ۱۱- الكتب المؤلفة فى وقف التمام. ۱۲- الكتب المؤلفة فيما اتفقت ألفاظه و معانيه فى القرآن. ۱۳- الكتب المؤلفة فى متشابه القرآن. ۱۴- الكتب المؤلفة فى هجاء المصاحف. ۱۵- الكتب المؤلفة فى مقطوع القرآن و موصوله. ۱۶- الكتب المؤلفة فى أجزاء القرآن. ۱۷- الكتب المؤلفة فى عدد آى القرآن. ۱۸- الكتب المؤلفة فى ناسخ القرآن و منسوخة. ۱۹- الكتب المؤلفة فى نزول القرآن. ۲۰- الكتب المؤلفة فى أحكام القرآن. ۲۱- الكتب المؤلفة فى معان شتى من القرآن. وعد ابن النديم مع كل باب من هذه الأبواب جملة من الكتب تختلف كثرة و قلة، حسب إحصائه و إلى عهده، و إذا هى على هذا كثرة كثيرة، هذا و نحن نعلم أن وفاة ابن النديم كانت قريبا من منتصف القرن الخامس الهجرى، أى سنة ثمان و ثلاثين و أربعمائة (۴۳۸ ه)، فما بالك مما ألف بعد وفاته إلى اليوم. و أكبر الظن أن ما استنبط بعد عصر ابن النديم لم يكن إلا فى ظل هذا الذى استنبطه ابن النديم، و أنه لم يكن غير تفريع على ما استنبطه ابن النديم «۱».

(_____ ۱) الفهرست لابن النديم (۵۰- ۵۷) المطبعة الرحمانية. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۷۶

۲۵- إعجاز القرآن

۲۵- إعجاز القرآن المعجز الدّال على صدق النبى، صلى اللّه عليه و سلم، لا يصح دخوله تحت قدرة العباد، و إنما ينفرد اللّه تعالى بالقدرة عليه. و على هذا فإذا قيل: إن القرآن معجز، دلّ هذا على أن العباد لا يقدرون على الإتيان بمثله، لأنه لو صحّ أن يقدروا عليه بطلت دلالة المعجز. و لو كان القرآن غير خارج عن العادة لأتوا بمثله، أو عرضوا عليه من كلام فصائحهم و بلغائهم ما يعارضه «۱». و لا يتهيأ لمن كان لسانه غير العربية أن يعرف إعجاز القرآن إلا بأن يعلم أن العرب قد عجزوا عن ذلك، و إذا أعجز أهل ذلك اللسان فهو عنه أعجز «۲». و قد اختلف فى وجوب إعجاز القرآن على أقوال: ۱- أحدها، و هو قول النّظام إبراهيم بن سيار شيخ الجاحظ، و أحد رءوس المعتزلة «۳»: أن اللّه صرف العرب عن معارضته و سلب عقولهم، و كان مقدورا لهم، و لكن عاقهم أمر خارجى، فهو كسائر المعجزات (_____ ۱) إعجاز القرآن للباقلانى (ص: ۴۳۶- ۴۳۷). (۲) إعجاز القرآن للباقلانى (ص: ۱۷۱). (۳) كانت وفاته سنة ۲۲۹ ه. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۷۷

و يرد على هذه الزركشى فى كتابه البرهان «۱» فيقول: و هو قول فاسد بدليل قوله تعالى قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً «۲»، فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم. ثم يقول: و أيضا يلزم من القول بالصرفة فساد آخر، و هو زوال الإعجاز بزوال زمان التحدى، و خلو القرآن من الإعجاز، و فى ذلك خرق لإجماع الأمة، فإنهم أجمعوا على بقاء معجزة الرسول العظمى، و لا معجزة له باقية سوى القرآن، و خلوه من الإعجاز يبطل كونه معجزا «۳». و يقول الباقلانى: و مما يبطل ما ذكروه من القول بالصرفة، أنه لو كانت المعارضة ممكنة، و إنما منع منها الصرفة، لم يكن الكلام معجزا، و إنما يكون المنع هو المعجز، فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره فى نفسه «۴». و يمضى الباقلانى فى رده فيقول: و ليس هذا بأعجب مما ذهب إليه فريق منهم: إن الكل قادرون على الإتيان بمثله، و إنما تأخروا عنه لعدم العلم بوجه ترتيب لو تعلموه لوصلوا إليه، و لا بأعجب من قول فريق (_____ ۱) البرهان (۲: ۹۴). (۲) الإسراء: ۸۸. (۳) البرهان (۲: ۹۴). (۴) إعجاز القرآن (ص: ۴۳). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۷۸ منهم: إنه لا فرق بين كلام البشر و كلام اللّه تعالى فى هذا الباب، و إنما يصح من كل واحد منهما الإعجاز على حد واحد «۱». الثانى- أن وجه الإعجاز يرجع إلى التأليف الخاص به لا مطلق التأليف، و هو بأن اعتدلت مفرداته تركيبا وزنة، و علت مركّباته معنى، بأن يوقع كل فن فى مرتبته العليا فى اللفظ و المعنى. الثالث- ما فيه من الإخبار عن الغيوب المستقبلة، كقوله تعالى قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرابِ (الفتح: ۱۶)، و قوله تعالى فى «أهل بدر: سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَ يُوَلُّونَ الدُّبُرَ (القمر: ۴۵)، و قوله تعالى: لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا (الفتح: ۲۷). الرابع- ما تضمن من إخباره عن قصص الأولين و سائر المتقدمين، حكاية من شاهدها و حضرها، يقول تعالى: تِلْكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيها إِلَيْكَ ما كُنْتَ تَعْلَمُها أَنْتَ وَ لا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هذا (هود: ۴۹). الخامس- إخباره عن الضمائر من غير أن يظهر ذلك منهم بقول أو فعل، و هذا مثل قوله تعالى: إِذْ هَمَّتْ طائِفَتانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا (آل عمران: ۱۲۲)، و قوله تعالى: وَ إِذا جاؤُكَ حَيَّوْكَ بِما لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَ يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْ لا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ (المجادلة: ۸)، و قوله تعالى: وَ إِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّها لَكُمْ وَ تَوَدُّونَ (الأنفال: ۸). السادس- نظمه و صحة معانيه و توالى فصاحة ألفاظه، و وجه إعجازه أن اللّه قد أحاط بكل شىء علما، و أحاط بالكلام كله علما. (_____ ۱) إعجاز القرآن (ص: ۴۴). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۷۹ و قد قامت الحجة على العلم بالعرب إذ كانوا أرباب الفصاحة و مظنة المعارضة «۱». و يقول الباقلانى فى كتابه إعجاز القرآن، و هو يتكلم على وجوه إعجاز القرآن: ذكر أصحابنا و غيرهم فى ذلك ثلاثة أوجه من الإعجاز: أحدها- يتضمن الإخبار عن الغيوب، و ذلك مما لا يقدر عليه البشر، و لا سبيل لهم إليه، فمن ذلك ما وعد اللّه تعالى نبيه عليه السلام أنه سيظهر دينه على الأديان، بقوله عز و جل هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (التوبة: ۳۳)، ففعل ذلك. و قال اللّه عز و جل قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَ تُحْشَرُونَ إِلى جَهَنَّمَ وَ بِئْسَ الْمِهادُ (آل عمران: ۱۲)، فصدق فيه، و قال تعالى فى أهل بدر: وَ إِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّها لَكُمْ (الأنفال: ۷) و وفى لهم بما وعد. الوجه الثانى- أنه كان معلوما من حال النبى، صلى اللّه عليه و سلم، أنه كان أميّا لا يكتب و لا يحسن أن يقرأ، و كذلك كان معروفا من حاله أنه لم يكن يعرف شيئا من كتب المتقدمين و أقاصيصهم و أنبائهم و سيرهم، ثم أتى بجمل ما وقع و حدث من عظيمات الأمور و مهمات السير، من حين خلق اللّه آدم عليه السلام إلى حين مبعثه. و نحن نعلم ضرورة أن هذا مما لا سبيل إليه إلا عن تعلم، و إذ كان (_____ ۱) البرهان (۲ : ۹۴ - ۹۶). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۸۰ معروفا أنه لم يكن ملابسا لأهل الآثار، و حملة الأخبار، و لا مترددا إلى التعلم منهم، و لا كان ممن يقرأ فيجوز أن يقع إليه كتاب فيأخذ منه، علم أنه لم يصل إلى علم ذلك إلا بتأييد من جهة الوحى، و لذلك قال عز و جل: وَ ما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَ لا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ (العنكبوت: ۴۸)، و قال تعالى: وَ كَذلِكَ نُصَرِّفُ الْآياتِ وَ لِيَقُولُوا دَرَسْتَ (الأنعام: ۱۰۵). الوجه الثالث- أنه بديع النظم عجيب التأليف متناه فى البلاغة إلى الحد الذى يعلم عجز الخلق عنه «۱». و قريبا من هذا

ما ساقه الخطابى أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم فى كتابه: إعجاز القرآن، و الرمانى على بن عيسى فى رسالته: إعجاز القرآن، و الزملكانى عبد الواحد بن عبد الكريم فى كتابه: التبيان فى علم البيان المطلع على إعجاز القرآن «۲»، و السيوطى عبد الرحمن ابن أبى بكر فى كتابه: معترك الأقران فى إعجاز القرآن، و غيرهم و هم كثير «۳». و قد أنهى بعضهم وجوه إعجاز القرآن إلى ثمانين، و يقول السكاكى يوسف بن أبى بكر فى كتابه: مفتاح العلوم: إنه لا نهاية لوجوه إعجاز القرآن.

(_____ ۱) إعجاز القرآن (۴۸ - ۵۱). (۲) مخطوط. (۳) كشف الظنون (ص: ۱۲) مفتاح السعادة (الفهرست). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۸۱ و أقول: حسب القرآن الكريم إعجازا ما انطوى عليه من تشريعات و أحكام جاءت على لسان ذلك النبى الأمى من وحى السماء، قبل أن يبلغ العالم كماله الذى يدعيه تشريعا و أحكاما، فإذا تشريع السماء و أحكامها، التى نزل بها الروح الأمين على النبى الكريم منذ ما يربى على أعوام ألف و من نحو من نصف قرن، تزرى بتلك التى كانت من صنع الإنسان فى عصره المتحضر، حيث بلغ العلم فيه مبلغه، و إذا هذه التشريعات و الأحكام تصمد للتشريعات الإنسانية فتتحداها كمالا و استقامة و استواء. ثم حسب القرآن الكريم إعجازا بقاؤه سليما كما أنزل لم يمسه تبديل أو تغيير، تصديقا لقوله تعالى إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ (الحجر: ۹). ثم حسب القرآن الكريم إعجازا صموده أمام حملات الذين يريدون أن ينالوا منه مطعنا، فإذا هو هو و إذا هم هم المطعونون. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۸۲

۲۶- المحكم و المتشابه

۲۶- المحكم و المتشابه يقول الزركشى فى كتابه البرهان «۱»: المحكم: لا- توقف معرفته على البيان، و المتشابه: لا- يرجى بيانه. و يحكى النيسابورى الحسين بن محمد أن فى هذه المسألة ثلاثة أقوال: ۱- أحدها أن القرآن كله محكم، لقوله تعالى: كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ (هود: ۱). ۲- و الثانى أن القرآن كله متشابه، لقوله تعالى: اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتاباً مُتَشابِهاً (الزمر: ۲۳). ۳- و الثالث، و هو الصحيح، أنّ منه محكما و منه متشابها، لقوله تعالى: مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ (آل عمران: ۷). ثم يقول الزركشى: فأما المحكم فأصله لغة: المنع، و أما فى الاصطلاح، فهو: ما أحكمته بالأمر و النهى و بيان الحلال و الحرام. و قيل: هو مثل قوله تعالى: وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ (البقرة: ۴۳). و قيل: هو الذى لم ينسخ، لقوله تعالى: قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ (الأنعام: ۱۵۱ (_____). ۱) البرهان (۲: ۶۸- ۷۰). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۸۳ و قيل: هو الناسخ. و قيل: الفرائض و الوعد و الوعيد. و قيل: الذى وعد عليه ثوابا أو عقابا. و قيل: الذى تأويله تنزيله يجعل القلوب تعرفه عند سماعه، كقوله تعالى: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (الإخلاص: ۱)، و قوله تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ (الشورى: ۱۱). و قيل: ما لا- يحتمل فى التأويل إلا وجها واحدا. و قيل: ما تكرر لفظه. ثم يقول الزركشى: و أما المتشابه، فأصله أن يشتبه اللفظ فى الظاهر مع اختلاف المعانى، كما قال تعالى فى وصف ثمر الجنة وَ أُتُوا بِهِ مُتَشابِهاً (البقرة: ۲۵). و اختلفوا فيه: فقيل: هو الذى يشبه بعضه بعضا. و قيل: هو المنسوخ غير المعمول به. و قيل: القصص و الأمثال. و قيل: ما أمرت أن تؤمن به و تكل علمه إلى عالمه. و قيل: فواتح السور. و قيل: ما لا يدرى إلا بالتأويل. و قيل: الآيات التى يذكر فيها وقت الساعة و مجىء الغيث و انقطاع الآجال. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۸۴ و قيل: ما يحتمل وجوها، و المحكم: ما يحتمل وجها واحدا. و قيل: ما لا يستقل بنفسه إلا برده إلى غيره. و يقول الزمخشرى فى الكشاف: المحكم: ما أحكمت عبارته و حفظت من الاحتمال و الاشتباه. و المتشابه: ما استأثر اللّه بعلمه «۱». و يقول القاضى عبد الجبار فى مقدمة كتابه «متشابه القرآن»: المحكم: لا يحتمل إلا الوجه الواحد، فمتى سمعه من عرف طريقة الخطاب، و علم القرائن، أمكنه أن يستدل فى الحال على ما يدل عليه، و ليس كذلك المتشابه، فإنه يحتاج عند سماعه إلى فكر مبتدأ، و نظر مجدد، ليجعله على الوجه الذى يطابق الحكم أو دليل العقل «۲». و يقول فى موضع آخر: و إن ما يعده المشبّه محكما عند الموحد من المتشابه، و ما يعده الموحد محكما عند المشبّه بخلافه «۳». و يقول فى موضع ثالث: إن المتشابه هو الذى لا يعلم تأويله

إلاـ اللّه، و هو الـذى لاـ سبيـل للمكلف إلى العلم به، و إنمـا كلّف الإيمـان به. و إنمـا يفـارق المحكم بـأنه لا يمكن أن يعلم المراد به كـالمحكم، و لاـ يصـح كـونه دلالـة كمـا يصـح ذلـك فى المحكـم «۴». (_____ ۱) الكشـاف للزمخشـرى (۱ : ۳۳۷- ۳۳۸). (۲) متشـابه القرآن (۱: ۶- ۷). (۳) متشـابه القرآن (۱: ۸). (۴) متشـابه القرآن (۱: ۱۳). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۸۵ و يقول فى موضع رابع: المحكم: هو الـذى أحكم اللّه تعـالى المراد به بأن جعله على صـفة مخصوصـة، لكونه عليها تأثير فى المراد. فأما المتشابه فهو الـذى جعله اللّه، عز و جل، على صـفة تشـتبه على السامع، لكونه عليها المراد به، من حيث خرج ظاهره عن أن يـدل على المراد به، لشـىء يرجع إلى اللغـة أو التعـارف «۱». و يقول فى موضع خـامس، عنـد الكلاـم على وصـفه، عز و جـل، جميع القرآن بأنه محكم، بقوله تعالى: الر. كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ (هود: ۱)، و وصفه جميعه بأنه متشابه بقوله تعالى اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتاباً مُتَشابِهاً (الزمر: ۲۳)، يقول: إن القرآن فيه محكم و متشـابه، و قـد ورد الكتاب بصـحته فى قوله تعالى: هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَمـاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتـابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهـاتٌ (آل عمران: ۷) فأمـا وصـفه جميعه بـأنه محكم، فإنما أريـد به أنه تعالى أحكمه فى باب الإعجاز و الدلالة على وجه لا يلحقه خلل، و وصـفه جميعه بأنه متشابه، المراد به أنه سوى بين الكل فى أنه أنزل على وجه المصلحة و دلّ به على النبوة، لأـن الأشـياء المتساويـة فى الصـفات المقصود إليهـا، يقـال فيهـا: متشابهـة «۲». و يقول التهـانوى فى كتـابه كشـاف اصـطلاح الفنـون عنـد الكلاـم على المحكـم: المحكـم: اسـم مفعـول مـن الإحكـام. (_____ ۱) متشـابه القرآن (۱ : ۱۹). (۲) متشابه القرآن (۱: ۲۰- ۲۱). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۸۶ و هو عنـد الأصوليين من الحنفيـة: هو اللفظ الذى لا يحتمل النسخ و التبـديل. ثم انقطاع احتمال النسـخ قـد يكون المعنى فى ذاته، بألا يحتمل التبـديل عقلا، كالآيات الدالة على وجود الصانع و صـفاته و حدوث العالم. و يسـمى هذا محكما لعينه. و قد يكون بانقطاع الوحى لوفاة النبى، صـلى اللّه عليه و سـلم. و يسمى محكما لغيره. وضد المحكم: المتشـابه، و هـو اللفـظ الـذى لاـ يفهم منه المراد و لاـ يرجى بيـانه أصـلا، كمقطعـات القرآن «۱». و يقول عنـد الكلاـم على المتشـابه: المتشـابه: اسـم فاعـل من التشـابه، و هـو كـون أحـد المثلين مشابهـا للآـخر، بحيث يعجز الـذهن عن التمييز. و المتشـابه عند الأصوليين و الفقهاء ضد المحكم. قالوا: القرآن بعضه محكم و بعضه متشابه، على ما تدل عليه الآية: هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ (آل عمران: ۷). و قيل: إن القرآن كله محكم لقوله تعالى: الر. كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ (هود: ۱ (_____). ۱) كشاف اصطلاح الفنون (۱: ۳۸۰- ۳۸۱). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۸۷ و أجيب بأن معناه: أحكمت آياته بكونها كلاما حقّا فصـيحا بالغا حد الإعجاز. و قيـل: كله متشـابه لقوله تعالى: اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتاباً مُتَشابِهاً (الزمر: ۲۷). و أجيب بـأنه متشابه بمعنى أن بعضه يشـبه بعضا فى الحق و الصـدق و الإعجـاز. ثم قـال: ثم إنهم اختلفوا فى تعليلهما- أى المحكم و المتشابه- على أقوال: فقيل: المحكم ما عرف المراد منه، إمـا بـالظهور أو التأويـل، و المتشـابه: ما اسـتأثر اللّه بعلمه و لا يرجى إدراكه أصـلا، كقيام الساعـة، و الحروف المقطعـة فى أوائل السور. و قيل: كل ما أمكن تحصـيل العلم به، سواء كان بدليل جلىّ أو خفى، فهو المحكم، و كل ما لا سبيل إلى معرفته فهو المتشابه. و قيـل: المحكم: مـا وضـح معنـاه، و المتشـابه نقيضه. و قيـل: المحكم: ما لا يحتمل من التأويل إلا وجها واحـدا، و المتشابه: ما احتمل أوجها. و قيل: المحكم: ما اسـتقل بنفسه، و المتشابه: ما لا يسـتقل بنفسه إلا برده إلى غيره. و قيل: المحكم: ما يدرى تأويله و تنزيله، و المتشابه: ما لا يـدرى إلا بالتأويل. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۸۸ و قيـل: المحكم: مـا لم تتكرر ألفاظه، و مقابله المتشابه. و قيل: المحكم: الفرائض، و الوعـد و الوعيـد، و المتشـابه القصـص و الأمثـال. و قـال الراغب: الآيات ثلاثـة أضـرب: محكم على الإطلاق، و متشـابه على الإطلاق، و محكم من وجه متشابه من وجه. فالمتشابه بالجملـة ثلاثـة أضـرب: متشابه من جهـة اللفظ فقط، و هو ضـربان: أحـدهما يرجع إلى الألفـاظ المفردة، إمـا من جهـة الغرابـة، نحـو: يزفون، أو الاـشتراك: كاليـد و الوجه. و ثانيهمـا يرجع إلى الكلاـم

المركب، و ذلك ثلاثة أضرب: ضرب لاختصار الكلام، نحو: وَ إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتامى فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ (النساء: ٣). و ضرب لبسطه، أى لبسط الكلام، نحو: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ (الشورى: ١١)، لأنه لو قيل: ليس مثله شيء، كان أظهر للسامع. و ضرب لنظم الكلام، نحو: أَنْزَلَ عَلى عَبْدِهِ الْكِتابَ وَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً قَيِّماً (الكهف: ١)، إذ تقديره: أنزل على عبده الكتاب فيما و لم يجعل له عوجا. و متشابه من جهة المعنى فقط، و هو أوصاف اللّه تعالى، و أوصاف القيامة، فإن تلك الصفات لا تتصور لنا، إذ لا تحصل فى نفوسنا صورة ما لم نحس. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ١٨٩ و متشابه من جهتيهما، أى من جهة اللفظ و المعنى، و هو خمسة أضرب: الأول: من جهة الكمية كالعموم و الخصوص، نحو: فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ (التوبة: ۶). و الثانى: من جهة الكيفية، كالوجوب و الندب، نحو: فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ (النساء: ٣). و الثالث: من جهة الزمان و المكان، كالناسخ و المنسوخ. و الرابع: من جهة المكان و الأمور التى نزلت فيها نحو وَ لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِها (البقرة: ١٨٩)، فإن من لا يعرف فى الجاهلية يتعذر عليه تفسير مثل هذه الآية. و الخامس: من جهة الشروط التى بها يصح الفعل و يفسد، كشرط الصلاة و النكاح. ثم إن جميع المتشابه على ثلاثة أضرب: ضرب لا سبيل إلى الوقوف عليه، كوقت الساعة. و ضرب للإنسان سبيل إلى معرفته، كالألفاظ الغريبة و الأحكام المغلقة. و ضرب متردد بين أمرين يختص بمعرفته بعض الراسخين فى العلم، و يخفى على من دونهم «١». و فى هذا العرض المفصل عن المحكم و المتشابه غناء، و ما سيق يرجح بعضه بعضا، غير أن كله محتمل.

(_____ ١) كشاف اصطلاح الفنون (١: ٧٩٢- ٧٩٥). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ١٩٠

٢٧- اللغات فى القرآن

٢٧- اللغات فى القرآن فى القرآن الكريم ألفاظ تتفق و نظيراتها فى غير لغة العرب، منها: الطور، و معناها: الجبل بالسريانية. طفقا، أى قصدا، بالرومية. هدنا، أى تبنا، بالعبرانية. السجل، أى الكتاب، بالفارسية. الرقيم، أى اللوح، بالرومية. السندس، أى الرقيق من الستر، بالهندية. الإستبرق، أى الغليظ، بالفارسية، بحذف القاف. السرى، أى النهر الصغير، باليونانية. طه، أى طأ يا رجل، بالعبرانية. سينين، أى حسن، و قيل: مبارك. المشكاة، أى الكوة، بالحبشية، و قيل: الزجاجة تسرج. الدّرىّ، أى المضىء، بالحبشية. الملة الأخرى، أى الأولى، بالقبطية. وراءهم، أى أمامهم، بالقبطية. بطائنها، أى ظواهرها، بالقبطية. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ١٩١ ناشئة الليل، نشأ، بلغة الحبشة: قام من الليل. كفلين، أى ضعفين، بلغة الحبشة. القسورة، أى الأسد، بلغة الحبشة «١». و قد ذهب الدارسون فى هذا مذاهب: ١- فمنهم من يقول: ليس فى القرآن من غير العربية شىء. ٢- و منهم من يقول: إن فيه ألفاظا من ألفاظ الأعاجم. ٣- و منهم من يقول: إن هذه الحروف كانت بغير لسان العرب فى الأصل، فلما لفظت بها العرب بألسنتها فعربتها صارت عربية، فهى عربية نقلا أعجمية أصلا. ۴- و منهم من يقول: إن هذه الألفاظ وافقت لغة العرب فيها لغة العجم «٢». و أقول: ما من لغة من لغات العالم إلا و أخذت و أعطت، و ما تأخذه تصقله و تقيسه بمقاييسها و تحوكه على منوالها، فإذا هو منها، و إن كان يبقى يمت ببعض الشبه إلى أصله الأول، على هذا تعيش اللغات و بهذا تحيا، و لا يمكن أن يقال إن ألفاظا معدودة فى اللغة، أو تراكيب محدودة فيها، تخلع عنها ثوبها و تردها لغة أخرى، فلقد أخذت اللغة العربية من غيرها ما فى ذلك شك، و لقد صقلت اللغة العربية هذا المأخوذ فإذا هو على بنيتها و على مقاييسها و أوزانها. و من حسن حظ العربية أن هذا المأخوذ

(_____ ١) البرهان (١: ٢٨٨- ٢٨٩) الإتقان (١: ١٣٩). (٢) اللغات فى القرآن، إسماعيل بن عمرو (٨- ٩). البرهان (١: ٢٨٥- ٢٩٠). تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ١٩٢ عن غيرها قلة محصورة تكاد تعد على الأصابع، ثم هو على قلته على ميزان العربية و على نمطها، و بعيد أن تنخلع عن العربية صفتها لهذه القلة من الألفاظ، التى أصبحت و كأنها من العربية زنة، و لم يبق لها إلا دلالاتها الأولى التى كانت لها فى لغاتها، و ما هذا بضائر العربية و لا

بضائر غيرها من اللغات التى تأخذ، فتلك حياة اللغات و بدون هذا لا تطرد و لا تنمو. تاريخ القرآن(للأبيارى)، ص: ۱۹۳

۲۸- خاتمة

۲۸- خاتمة و بعد. فما كان أرغبنى، منذ أن ملكت قلمى شيئا، إلى أن أكتب عن رسول اللّه صفحات طويلة، ثم عن الإسلام صفحات طويلة، أبسط فى الصفحات الأولى سيرة الرسول نقية خالصة، و أجمع فيها كل ما له حياته، و ما سبق هذه الحياة الكريمة، على نحو فيه استقصاء و فيه تحرير، و فيه جمع لما تشتت و تفرق، لأجعل من هذه الصفحات غنية عن كتب، و غنية عن مراجع مختلفة قد تعز فى الكثير، و أبسط فى الصفحات الثانية الإسلام دينا خاتما للأديان، و رسالة كريمة للإنسانية جمعاء، و كلمة توحيد جاءت لتجمع العالم حول إله واحد ليجتمعوا على نهج واحد، و لتكون وحدة المعتقد معها وحدة المسعى و وحدة القلوب جميعا على الطريق. و لقد أخذت أعد لهذا و ذاك منذ أمد بعيد، و كلما أوشكت أن أضع القلم جدّ لى ما يجعلنى أصل ما أظننى فرغت منه. و أحببت أن أمهد لهذين البحثين المرتقبين بهذين الموجزين الحاضرين، و المرء حريص على أن يمهد لخطئه، ثم هو حريص على ألا يبيت على رأى، و لا يراح، إلا أن يسمعه عند السامعون و يقرأه له القارءون. و رأيتنى بهذين الموجزين حين أطالع بهما الناس أكون قد حققت حرصين، فبادلت الناس رأيا أعرف رأيهم فيه، و أرحت نفسى حين لم أعقلها عن أن تنطق. و اللّه أسأل السداد فيما كان، و العون و التوفيق فيما سيكون. (تأريخ القرآن).

تعريف المركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱). قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷). مؤسّس مُجتمَع "القائميّة "الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى – "رَحِمَهُ اللّهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللّهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم. مركز "القائميّة "للتحرّى الحاسوبىّ– بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة... الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة –فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت– عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و... – مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جهةٍ أُخرَى. – من الأنشطة الواسعة للمركز: الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبيّة، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و... د) إبداع الموقع

الانترنتی" القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عـدّة مَواقِعَ اُخرَ ه) إنتـاج المُنتَجـات العرضـیّة، الخَطابـات و... للعرض فی القنوات القمریّة و) الإطلاق و الـدَّعم العلمیّ لنظام إجابـة الأسـئلة الشـرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴) ز) ترسـیم النظـام التلقائیّ و الیـدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصـیرة SMS ح) التعـاون الفخریّ مع عشـراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسـجد جَمکرانَ و... ط) إقامـة المؤتمَرات، و تنفیذ مشـروع" مـا قبـلَ المدرسـة "الخـاصّ بالأطفال و الأحـداث المُشارِکین فی الجلسـة ی) إقامـة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضـوراً و افتراضـاً) طیلـة السَّنَة المکتـب الرّئیسـیّ: إیران/أصـبهان/ شـارع"مسـجد سـیّد/ "مـا بیـنَ شـارع"پنـج رَمَضـان" ومُفترَق"وفائی/"بنایـة"القائمیّة "تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریـة القمریّة) رقـم التسـجیل: ۲۳۷۳ الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶ الموقـع: www.ghaemiyeh.com البریـد الالـکترونی: Info@ghaemiyeh.com المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com الهـاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱) الفـاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱) مکتـب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱) التّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹ امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱) ملاحَظة هامّة: المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم – فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.

مرکز القائمیة اصفهان للبحوث والدراسات الکمبیوتریة
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹